حادي الأنام إلى دار السلام

تأليف

العلامة الشيخ أبي بكر بن الشيخ محمد الملا الحنفي

ويليه

وظائف العشر الأخيرة من رمضان

للشيخ على الناصر أبو وادى

و

دعاء ختم القرآن

للشيخ عبد الله الخلف

المكتبة العلمية بالمدينة المنورة
لصاحبها محمد النمنكاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نعم أحبابه بلطائف أنسه ، وأعدَّ لهم موائد الكرامة فى حظيرة قدسه ، وأترع كؤوس قلوبهم من حياض الرضى فأرضاهم بما قدر عليهم ، وقضى ومنح أفكارهم لذة النعيم فى الدار الباقية حتى زهدوا فى هذه الدنيا الدنية الفانية ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد نبيه المصطفى من ولد عدنان ، خاتم الأنبياء ، وصفوة الأصفياء ، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار ، وعلى جميع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(وبعد)

فهذا كتاب مشتمل على ذكر صفة الجنة دار القرار وما أعدَّ الله تعالى فيها لعباده المقربين والأبرار ، لخصته من كتاب (البدور السافرة فى أمور الآخرة) للعلامة الجلال السيوطى رحمه الله تعالى .

ووشحته بآثار ومواعظ منتخبة من كتاب (اللطائف لموسم العام من الوظائف) للعلامة ابن رجب ، ومن كتاب (حادى الأرواح إلى ديار الأفراح) للعلامة ابن القيم رحمهما الله تعالى ، وغير ذلك .

وسميته (حادى الأنام إلى دار السلام).

والله أسأل أن ينفع به المسلمين ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن لا يحرمنى من التمتع بما تضمن ذكره من لذات النعيم المقيم التى أعظمها النظر إلى وجهه الكريم برحمته إنه أكرم كريم ، وأرحم رحيم

ويشتمل هذا الكتاب على عشرين باباً وخاتمة .

﴿ الباب الأول : فى صفة الجنة ﴾

الحمد لله الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، المتعالى عن الشريك والشبيه والنظير ، القائم بأمره ملكوت السموات والأرض على ما اقتضته الحكمة الإلهية والتدبير.

أحمده حمداً يليق بشأنه العلى الكبير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة اتقى بها عذاب السعير ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير ، وعلى آله وأصحابه أهل الجد فى الطاعة والتشمير وسلم تسليما .

قال الله تعالى : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» وقال تعالى : « جَنَّاتُ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ» وقال عز وجل : « كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً » وقال جل ذكره : « فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ» وقال تعالى :«عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى» وقال سبحانه : « لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ » وقال جل وتقدس : « لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ».

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : اقرءوا إن شئتم « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ » .

وأخرج أبو داود والترمذى والحاكم ، وصححه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : أى رب ، وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها .

ثم حفها بالمكاره ، ثم قال : يا جبريل ، اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال :

أى رب لقد خشيت أن لا يدخلها أحد .

فلما خلق الله النار قال : يا جبريل ، اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : أى رب ، وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فحفها بالشهوات ، ثم قال : يا جبريل ، اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .

وأخرج الطبرانى بسند جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله جنة عدن ، خلق فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمى ، فقالت : قد أفلح المؤمنون .

وأخرج من وجه آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا : خلق الله جنة عدن بيده ، ودلَّى فيها ثمارها ، وشق فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال لها : تكلمى ، فقالت : قد أفلح المؤمنون ، فقال : وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل .

وأخرج ابن المبارك عن سعد الطائى قال : لما خلق الله الجنة قال لها : تزينى ، فتزينت ، ثم قال لها : تكلمى ، فتكلمت فقالت : طوبى لمن رضيت عليه .

وأخرج ابن ماجه وابن حبان والبيهقى والبزار عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا هل مشمر للجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية ،

قالوا : يا رسول الله ، نحن المشمرون لها ، قال : قولوا : إن شاء الله ، فقال القوم إن شاء الله .

وأخرج الشيخان عن سهل ابن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب .

وأخرج الترمذى وابن أبى الدنيا عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه قال : لو أن ما يقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطّلع فبدا أساوره ، لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم .

وأخرج مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ فى النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ فى الجنة صبغة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً ؟هل مر بك شدة قط ؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بى بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط .

وأخرج أحمد والبزار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فى رمضان يزين الله كل يوم جنته ، ثم يقول : يوشك عبادى الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة ، ويصيروا إليك .

وأخرج الترمذى وحسنه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة .

وأخرج الأصبهانى عن شيخه قال : أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى ، لو رأت عينك ما أعددت لعبادى الصالحين لذاب قلبك وزهقت نفسك اشتياقاً إليه .

وأخرج البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة ، وقال «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ» قال : وهى التى لا يعلم الخلائق مافيها وهى التى قال الله : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ » .

وأخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : أصيب حارثة يوم بدر ، فجاءت أمه فقالت : يارسول الله ، قد علمت منزلة حارثة منى ؛ فإن يكن فى الجنة صبرت ، و إن يكن غير ذلك ترى ما أصنع . فقال : إنها ليست بجنة واحدة ، إنها جنان كثيرة ، و إنه فى الفردوس الأعلى .

فصل

قال فى اللطائف لما : سمع بعض الصحابة رضى الله عنهم قول الله عز وجل : «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» وقوله : « سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ والأرض » فهموا من ذلك : أن المراد أن يجتهد كل واحد ، أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة و بلوغ هذه الدرجة العالية فكان أحدهم ، إذا رآى من العمل عملا يعجز عنه خشى أن يكون صاحب العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه فكان تنافسهم فى درجات الآخرة ، واستباقهم إليها كما قال تعالى « وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » . ثم جاء بعدهم قوم بعكس الأمر ، فصار تنافسهم فى الدنيا الدنية وحظوظها الفانية .

قال الحسن : إذارأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة .

وقال وهيب بن الورد : إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد ، فافعل .

وقال بعض السلف : لو أن رجلا سمع بآخر أطوع لله منه كان ينبغى له أن يحزنه ذلك .

وقال غيره : لو أن رجلا سمع برجل أطوع لله منه فانصدع قلبه فمات لم يكن ذلك بعجب .

قال رجل لمالك بن دينار : رأيت فى النوم منادياً ينادى : أيها الناس الرحيل الرحيل ، فما رأيت أحداً يرتحل إلا محمد بن واسع . فصرخ مالك وغشى عليه « السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ » فصاحب الهمة العلية والنفس الشريفة التواقة لا يرضى بالأشياء الدنية الفانية ، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية الزاكية التى لا تفنى ، ولا يرجع عن مطلوبه ، ولو تلفت نفسه فى طلبه ، ومن كان فى الله تلفه فإن على الله خلفه .

قيل لبعض المجتهدين فى الطاعات : لِمَ تعذب هذا الجسد ؟ قال : كرامته أريد .

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجساد

قال فى « حادى الأرواح » : ولما علم الموفقون ما خلقوا له ، وما إيجادهم ، رفعوا رءوسهم ، فإذا علم الجنة قد رفع شمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم ، فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر فى أبد لا يزول ، ولا ينفد بصبابة عيش ، إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص إن أضحك قليلا أبكى كثيراً ، وإن أسر يوماً أحزن شهوراً ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته ، أوله مخاوف ، وآخره متالف .

فياعجباً من سفيه فى صورة حكيم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل . آثر الحظ الفانى الخسيس على الحظ الباقى النفيس ، وباع جنة عرضها الأرض والسموات بسجن

ضيق بين أرباب العاهات والبليات ، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان ، وحوراً مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام ، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والمرجان والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد .

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى   متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة   حباً لذكرك فليلمنى اللوّم

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة، ويتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً ؛ وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً ، ونادى المنادى على رءوس الأشهاد : ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد . فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة وما أعدلهم من الإكرام ، وادخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر . علم أى بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وأن القوم قد توسطوا ملكا كبيراً لا تعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال . فهم فى روضات الجنات يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون ، وعلى الفرش التى بطائنها من إستبرق يتكئون ، و بالحور العين يتمتعون ، و بأنواع الثمار يتفكهون « يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ* لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ* وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ* وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ* وَحُورٍ عِينٍ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ*

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد . فما قلب ، ولا استام إلا أفراد من العباد .

فواعجباً ! كيف نام طالبها ؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ؟ وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها ؟ وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ؟ وكيف صبرت عنها أنفس المؤمنين ؟ وكيف صرفت عنها قلوب أكثر العالمين ، و بأى شىء تعوضت عنها نفوس المعرضين ؟ .

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها   سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة   وحفت بما يؤذى النفوس و يؤلم
فلله ما فى حشوها من مسرة   وأصناف لذات بها يتنعم

أللهم ارزقنا حسن اليقين ، وثبتنا على الدين القويم ، واحشرنا على محبة السلف الصالح فى زمرة النبيين ، واجعلنا يوم الفزع الأكبر من الآمنين ، وأدخلنا برحمتك وفضلك فى جنات النعيم ، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الباب الثانى : فى درجات الجنة ﴾

الحمد لله الغفور الذى ستر بستره وأجمل . الشكور الذى غمر ببره وأجزل . الرحيم الذى أتم إحسانه على المؤمنين وأكمل .

أحمده سبحانه أن وفقنا بفضله لحمده وأهل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد خضع لهيبته وتذلل .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . الذى ختم الله به رسله وأنبياءه وأكمل ، وأيده بأعظم كتاب عليه أنزل ، أرسله والكفر قد عم الأرض وجلل ، فقام بأمر مولاه وتبتل . فأزهق الباطل وأبطل ، وقاتل من حرف و بدل . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الخيرة الكمل ، وسلم تسليما .

قال الله تعالى: «لاَ يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ . فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً » .

وقال تعالى : « أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » .

وقال تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ـ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، فإن حقاً على الله أن يدخله الجنة . جاهد فى سبيل الله . أو جلس فى أرضه . التى ولد فيها . قالوا : يارسول ننبىء الناس بذلك ؟ قال : إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله. ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ؛ فإنه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة .

وأخرج الترمذى والحاكم والبيهقى عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء

والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومن فوقها العرش ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة . فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات ، و إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا و يرفع الدرجات؟ قالوا بلى يارسول الله . قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذالكم الرباط .

وأخرج أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وابن حبان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها .

وأخرج ابن المبارك عن أبى المتوكل الناجى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الدرجة فى الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض ، و إن العبد ليرفع بصره ، فيلمع له برق يكاد يخطف بصره . فيفزع من ذلك فيقول : ما هذا ؟ فيقال : هذا نور أخيك فلان . فيقول : أخى فلان كنا نعمل فى الدنيا جميعاً ، وقد فضل علىّ هكذا ؟ فيقال له : إنه كان أفضل منك عملا ثم يجعل فى قلبه الرضى حتى يرضى .

وأخرج أبو يعلى بسند جيدَ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل لتكون له عند الله المنزلة الرفيعة فما يبلغها بعمل . فما زال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغها .

وأخرج الديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن فى الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم .

وأخرج الأصبهانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فى الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة : إمام عادل ، وذو رحم وصول ، وذو عيال صبور .

وأخرج الحاكم وصححه عن سمرة ابن جندب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : احضروا الجمعة ، وادنوا من الإمام ، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر فى الجنة و إن دخلها .

وأخرج أبو نعيم عن سلمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد يحب أن يرفع فى الدنيا درجة فارتفع . إلا وضعه الله فى الآخرة درجة أكبر منها وأطول ، ثم قرأ : « وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ درَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً » .

وأخرج سعيد ابن منصور ، وابن أبى الدنيا بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله ، و إن كان عليه كريماً .

وأخرج أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن الرجل وعبده يدخلان الجنة فيكون عبده أرفع درجة منه : فيقول : يارب هذا كان عبدى فى الدنيا فيقال : إنه كان أكثر ذكراً لله منك .

وأخرج الأصبهانى عن أبى الدرداء رضى الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان وصلة لأخيه إلى ذى سلطان، فى مبلغ بر، أو مدفع مكروه رفعه الله فى الدرجات .

وأخرج الحاكم عن أبى ابن كعب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عن من ظلمه ويعط من حرمه و يصل من قطعه .

﴿ فصل ﴾

قال فى اللطائف : قال ميمون ابن مهران :لا خير فى الحياة إلا لتائب ، أو رجل يعمل فى الدرجات ، يعنى أن التائب يمحو بالتوبة ما سلف من السيئات ، والعامل يجتهد فى علو الدرجات ومن عداهما فهو خاسر ، كما قال الله تعالى : « وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » فأقسم الله سبحانه أن كل إنسان خاسر إلا من اتصف بهذه الأوصاف الأربعة ، الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر على الحق .

فهذه السورة ميزان الأعمال يزن المؤمن بها نفسه . فيتبين له ربحه وخسرانه ؛ ولهذا قال الشافعى رحمه الله تعالى : لو فكر الناس كلهم فيها لكفتهم .

رأى بعض المتقدمين النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فقال له : أوصنى ، فقال له : من استوى يوما فهو مغبون ، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون ، ومن لم يتفقد الزيادة فى عمله فهو فى نقصان ، ومن كان فى نقصان فالموت خير له .

فالمؤمن القائم بشروط الإيمان لا يزداد بطول عمره إلا خيراً ، وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم أجعل الحياة زيادة لى فى كل خير والموت راحة لى من كل شر . — خرّجه مسلم .

وفى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى الناس خير؟ قال : من طال عمره ، وحسن عمله ، قيل : فأى الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله .

وفى المسند وغيره أن نفراً ثلاثة قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا وكانوا عند طلحة فبعث النبى صلى الله عليه وسلم بعثا ، فخرج فيه أحدهم فاستشهد ، ثم بعث بعثا آخر ، فخرج منهم آخر فاستشهد ، ثم مات الثالث على فراشه ، قال طلحة : فرأيتهم فى الجنة ، فرأيت الذى على فراشه أمامهم ، ورأيت الذى استشهد آخراً يليه ، ورأيت الذى استشهد أولهم آخرهم ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم ،

فذكرت ذلك له فقال : وما أنكرت من ذلك ؟ ليس عند الله أفضل من مؤمن يعمر فى الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله .

وفى رواية قال : أليس قد مكث هذا بعده سنة ؟ قالوا : بلى ، قال : وأدرك رمضان فصامه ؟ قالوا : بلى ، قال : وصلى كذا وكذا سجدة فى السنة ؟ قالوا : بلى ، قال : فلما بينهما أبعد ما بين السماء والأرض .

قيل لبعض السلف : طاب الموت ، قال : لا تفعل ، لساعة تعيش فيها تستغفر الله ، خير لك ؛ ولهذا كان السلف الصالح يتأسفون عند موتهم على انقطاع أعمالهم عنهم بالموت .

وبكى معاذ عند موته ، وقال : إنما أبكى على ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

وبكى عبد الرحمن ابن الأسود عند موته وقال : وا أسفاه على الصوم والصلاة ولم يزل يتلو القرآن حتى مات رضى الله عنه .

وبكى يزيد الرقاشى عند موته وقال : أبكى على ما يفوتنى من قيام الليل ، وصيام النهار : ثم بكى وقال : من يصلى لك يا يزيد بعدك ؟ ومن يصوم ؟ ومن يتقرب لك بالأعمال الصالحة ؟ ومن يتوب عنك من الذنوب السالفة ؟

وجزع بعضهم عند موته وقال : إنما أبكى على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم ، ويذكر الذاكرون ولست فيهم ، فذلك الذى أبكانى .

قال بعض السلف : كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة :

قال بعضهم : بقية عمر المؤمن لاقيمة لها ، يعنى أنه يمكنه أن يمحو فيها ما سلف منه من الذنوب بالتوبة ، وأن يجتهد فيه فى بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح ، فأما من فرط فى بقية عمره فإنه خاسر ، فإن زاد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين .

قال الله تعالى : « أَفَرَأَيْتَ أَنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ » .

تلا بعض السلف هـذه الآية و بكى ، فقال : إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم ، وفى هذا المعنى أنشد أبو العتاهية للرشيد حين بنى قصره واستدعى إليه ندماءه « شعرا » :

عش ما بدا لك سالماً ... فى ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح وفى البكور
فإذا النفوس تقعقعت ... فى ضيق حشرجة الصدور
فهنـاك تعـلـم موقنا ... ما كنت إلا فى غرور

فى الترمذى عن أبى هريرة مرفوعا ، ما من ميت يموت إلا ندم ، إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد ، و إن كان مسيئاً ندم أن لا يكون استعتب . إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة فكيف يكون حال المسىء ؟ رئى بعض الموتى فى المنام فقال : ما عندنا أكثر من الندامة ، وما عندكم أكثر من الغفلة ، الموتى فى قبورهم يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بتسبيحة أو ركعة ، ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك فلا يقدرون عليها . قد حيل بينهم و بين العمل ، وعلقت منهم الرهون ، رئى بعضهم فى المنام فقال : قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل ، وأنتم تعملون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان ، أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة أحدنا ، أحب إليه من الدنيا وما فيها ، قال الحسن وأبو الدرداء : إنما أنت أيام كلما مضى منك يوم ، مضى بعضك :

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يُدْنِى من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً ... فإنما الربح والخسران فى العمل

يا من كلما طال عمره ازداد ذنبه ، يا من كلما ابيض شعره بمرور الأيام ، اسود بالآثام قلبه :

شيخ كبير له ذنوب　　تعجز عن حملها المطايا
قد بيضت شعره الليالى　　وسودت قلبه الخطايا

قال بعض السلف : آدم أخرج من الجنة بذنب واحد وأنتم تعملون الذنوب وتكثرون منها وتريدون أن تدخلوا بها الجنة :

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى　　درج الجنان بهـا وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدما　　منها إلى الدنيا بذنب واحد

اللهم سلمنا من نفوسنا التى هى أقرب أعدائنا ، وامنن علينا بالتوفيق بعمل إليك يقربنا ، وأتمم علينا — يامولانا — مابه أكرمتنا ، وأدم علينا إحسانك كما بدأتنا واغفر لنا ولو الدنيا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الباب الثالث : فى عدد أبواب الجنة وأسمائها وسعتها ﴾

الحمد لله الذى تفرد بالوحدانية والعظمة وهو مالك الممالك ، إلٰه واحد أحد ، فرد صمد ، قيوم ليس له شبيه ولا نظير ولا مشارك ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له الباقى وما سواه فهو هالك ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الماحى بدعوته الشرك الحالك ، وعلى آله وأصحابه الذين جدوا واجتهدوا فى الطاعة وأوضحوا الطرق والمسالك وسلم تسليما .

قال الله تعالى : « وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ » .
وقال تعالى : « جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ » .

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فى الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الرَّيَّان لا يدخله

إلا الصائمون » وفى لفظ « إن فى الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دُعِيَ من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد » فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ما على أحد ضرورة من أيها دُعِيَ ، فهل يُدْعَى أحد منها كلها ؟ قال : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم » .

قال القرطبى : قيل الدعاء من جميعها دعاء تنويه وإكرام ثم يدخل من الباب الذى غلب عليه العمل .

وأخرج أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة يُدْعَوْنَ منه بذلك العمل .

وأخرج الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة باباً يقال له الضحى ، فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين الذين كانو يديمون على صلاة الضحى ؟ هذا بابكم فادخلوا برحمة الله » .

وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » .

وأخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً

عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله وابن أمتــه ، وكلمته ألقــاها إلى مريم ، وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنــار حق ، أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمـانية شاء .

وأخرج أحمد والبيهقى عن عقبــة بن عبد السلمى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغو الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » .

وأخرج الطبرانى عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أطعم مؤمناً حتى يشبعه أدخله الله باباً من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله » .

وأخرج أحمد والطبرانى عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها : ادخلى من أى أبواب الجنة شئت » إسناده حسن .

وأخرج الطبرانى عن عائشــة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ابنتين أو أختين أو عمتين أو خالتين ، وعالهن ، فُتِحَتْ له ثمانية أبواب الجنة » .

وأخرج البيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله عنــه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين بعثه إلى اليمن : « إنك ستأتى أهل اليمن ، فيسألونك عن مفاتيح الجنة ، فقل : شهادة أن لا إله إلا الله » .

وفى صحيح البخارى قيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ولــكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك .

وأخرج مسلم عن عتبة بن غزوان قال : « ذكر لنــا أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، مسيرة أربعــــين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » .

وأخرج الطبرانى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ما بين المصراعين فى الجنة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم يزاحم عليه كازدحام الإبل وردت لخمس ظماء » .

وأخرج ابن المبارك عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للجنة ثمانية أبواب بين كل مصراعين من أبوابها ، مسيرة أربعين سنة » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : وضعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم ، فتناول الذراع وكان أحب الشاة إليه ، فنهش نهشة وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة » ثم نهش أخرى وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة » ، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال : « ألا تقولون : كيف يا رسول الله ؟ » قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : « يقوم الناس لرب العالمين ، فيسمعهم الداعى و ينفذهم البصر » فذكر حديث الشفاعة بطوله ، وقال فى آخره : « فأنطلق فآتى العرش ، فأقع ساجداً لربى ، فيقيمنى رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلى ولن يقيمه أحداً بعدى ، فأقول : « يا رب ، أمتى » فيقول : يا محمد ، أدخل أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » والذى نفس محمد بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لَـكَمَاَ بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة .

وفى لفظ : « لـكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مـكة و بصرى » متفق على صحته .

وروى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن « مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ » قال : أبواب ترى .

وذكر أيضاً عن خليد عن قتادة قال : أبواب يرى ظاهرها من باطنها ، و باطنها من ظاهرها ، تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يقال لها : انفتحى انغلقى .

﴿ فصـــل ﴾

قال فى « حادى الأرواح » وتأمل قوله سبحانه : « جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ » .

كيف تجد تحته معنًى بديعاً ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم ، بل تبقى مفتَّحة كما هى .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال الله تعالى : « إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ » أى مطبقة مغلقة ، ومنه سمى البابَ « وصيداً » وهى مؤصدة « فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها ، كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب .

قال مقاتل : يعنى أبوابها عليهم مطبقة ، فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ، ولا يدخل فيها روح ، آخر الأبد .

وأيضاً فإن فى تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصريفهم وذهابهم و إيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاءوا ، ودخول الملائكة عليهم فى كل وقت بالتحف والألطاف ، ودخول ما يسرهم عليهم فى كل وقت .

وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا .

قال فيه : ولما كانت الجنان درجات ، بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق الجنة التى تحتها ، وكلما علت الجنة ، اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه ، وسعة الباب بحسب وسع الجنة .

ولعل هذا وجه الخلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلا من بعض .

ولهذه الأمة باب مختص يدخلون منه دون سائر أبوابهم ، أى الأمم ؛ كما فى المسندمن حديث ابن عمر عن النبىصلى الله عليه وسلم قال: « باب أمتى الذين يدخلون منه الجنة ، عرضه مسيرة الراكب ثلاثا ، ثم إنهم لينضغطون عليه حتى تكاد منا كبهم تزول .

وفيه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبريل فأخذ بيدى ، فأرانى باب الجنة الذى يدخل منه أمتى » الحديث .

وقال خلف ابن هشام البزار : حدثنا أبو شهاب عن عمرو ابن قيس الملائى ، عن أبى إسحاق ، عن عاصم ابن حمزة ، عن على ابن أبى طالب قال : « إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض . ثم قرأ«حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا » إذا هم عندها، بشجرة فى أصلها عينان تجريان ؛ فيشربون من إحداهما ؛ فلا تترك فى بطونهم قذًى ولا أذًى إلا رمتْه ، ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نَضْرَةُ النعيم ، فلا تشعث رءوسهم ، ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبدا ، ثم قرأ « طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ » فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ، وتتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة ؛ فينطلقون إلى أزواجهم ؛ فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول : « أنت رأيته ؟ ! فتقوم إلى الباب . فيدخل إلى بيته فيتكىء إلى سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ؛ ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر ؛ ثم يرفع رأسه إلى سمك بيته ؛ فلولا أنه خلق له ، لالتمع بصره ، فيقول : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ » .

قال فى « اللطائف » لما أهبط آدم من الجنة بكى على تلك المعاهد فيما يروى ثلاثمائة عام ، وحق له ذلك ، لأنه كان فى دار ، لاَ يَجُوعُ فِيهَا وَلاَ يَعْرَى ، ولا يظمأ فيها ولا يَضْحَى .

فلما نزل إلى الأرض ،أصابه ذلك كله .

وكان إذا رأى جبريل عليه السلام يتذكر برؤيته تلك المعاهد ، فيشتد بكاؤه حتى يبكى جبريل عليه السلام لبكائه ويقول له : ما هذا البكاء يا آدم ؟ فيقول : وكيف لا أبكى على أصوات الملائكة حول العرش ؟

ويروى أنه قال لولده : كنا نسلا من نسل السماء ، خلقنا كخلقتهم ، وغذينا بغذائهم ؛ فسبانا عدونا إبليس ، فليس لنا فرح ولا راحة إلا الْهَمّ والعنا ، حتى نرد إلى الدار التى خرجنا منها (شعراً) .

فحَىّ على جنات عدن فإنها　　منازلك الْأُوَلَى وفيها المخَيَّمُ

ولكننا سَبْىُ العدو فهل ترى　　نعود إلى أوطاننا ونُسَلَّمُ

لما ظهرت فضائل آدم عليه السلام على الخلائق بسجود الملائكة وتعليمه الأسماء كلها فكان يُنَبِّئ الملائكة كلها وهم مستمعون له كاستماع المتعلم من معلمه ، حتى أقروا بالعجز عن علمه ، وأقروا له بالفضل ، وأسكن هو وزوجته الجنة ؛ ظهر الحسد من إبليس اللعين ، وسعى فى الأذى . فما زال يحتال على آدم فى سبب إخراجه من الجنة ، وما فهم الأبله أن آدم إذا خرج منها كملت فضائله ثم عاد إلى الجنة على أكمل من حاله الأول .

وإنما أهلك إبليس العجب بنفسه ، ولذلك قال « أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ » وإنما كملت فضائل آدم باعترافه على نفسه « قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ » .

احذروا هذا العدو ، الذى أخرج أباكم من الجنة ، فإنه ساعٍ فى منعكم من العَوْدِ إليها بكل سبب ، والعداوة بينكم وبينه قديمة .

فإنه ما أخرج من الجنة وطردعن الخدمة ، إلا بسبب تكبره على أبيكم ، وامتناعه من السجود له كما أمر به ؛ فأيس من الرحمة ، ومن العود إلى الجنة وتحقق خلوده فى النار ؛ فهو يجتهد على أن يخلد معه فى النار بنى آدم ، بتحسين الشرك ، فإن عجز ، قنع بمادونه ، من الفسوق والعصيان .

وقد حذركم مولاكم منه ، وقد أعذر من أنذر ؛ فخذوا حذركم « يا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ » .

العجب ممن عرف ربه ثم عصاه ، وعرف عدوه فأطاعه « أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً » :

رعى الله من نهوى وإن كان ما رعى حفظنا له العهد القديم فضيعا
وصاحب قوم كنتُ أنهاه عنهم وحقك ما أبقيتَ للصلح موضعا

اللهم رُدَّنا إليك بفضلك ورحمتك ، ووفقنا للإقبال عليك ، والاشتغال بخدمتك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الباب الرابع : فى حائط الجنة وأرضها وترابها وحصبائها ﴾

الحمد لله الذى جاد علينا بأجود الفضل ، وعاد علينا بجوده من بعد كمن قبل ، وهدانا — بتوفيقه — إلى السبيل السهل ، وجعلنا من أمة حبيبه سيد الرسل ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه عدد القطر والوَبْل .

فسبحانه من مقدس قدوس ، خضعت لجلاله الأعقاب والرقاب والرءوس ، وبكت من خشيته العيون ، وزكت بمعرفته النفوس ، واستوى فى عبوديته الرئيس والمرءوس ، وهو الحكم العدل ، تمت برحمته الأفراح ، وانمحت بنعمته الأتراح ، وسحَّتْ — برعبه — جفونٌ هى بالغمْضِ شِحَاح ، وصحَتْ بقربه أرواح ، ولدى مشاهدته طاب لها المراح ، وغدابها سُكْرُ محبته وراح ، فتقمصت بالذل وارتدت بالوصل .

نحمده على توالى أمداده ، ونشكره على التطهير من لوث بعاده .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى مراده ، فلا مذل لمن أعز ؛ ولا معز لمن أذل .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المشرف بخطابه ، المعظم قدره له فى كتابه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تمسك بأسبابه ، وتنسك بمحبته فى ذهابه وإيابه ، وسلك على طريقه أوضح السبل ، وسلم تسليما.

أخرج أحمد ، والترمذى ، وابن حبان ، والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلنا ، يا رسول الله ، حدِّثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، ومِلاَطُهَا المسك ، وترابها الزعفران ، من دخلها ، ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ؛ لاتبلى ثيابه ، ولايفنى شبابه » .

وأخرج البزار والبيهقى ، عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ؛ ثم شقق فيها الأنهار ، وغرس فيها الأشجار . فلما نظرت الملائكة إلى حسنها قالت : طوباكِ منازل الملوك ».

وأخرج ابن أبى الدنيا بسند جيد ، وأبو الشيخ عن أبى زميل : أنه سأل ابن عباس : « ما أرُض الجنة ؟ قال : مرمرة بيضاء من فضة ، كأنها مرآة »

قال : فقلت ما نورها ؟ قال : ما رأيت الساعة التى يكون فيها طلوع الشمس ؟ فذلك نورها ؛ إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير » .

قلت : فما أنهارها ؟ أفى أخدود ؟ قال : « لا ، ولكنها تجرى على وجه الأرض لا تفيض ههُنا ، ولا ها هنا » .

قلت : ما حلل الجنة ؟ قال : « فيها الشجر ، فيها ثمر كأنه الرمان . فإذا أراد وَلِىُّ الله منها كسوة ، انحدرت إليه من أغصانها ، فانفلقت له عن سبعين حلة ، ألوان بعد ألوان . ثم تستطبق فترجع كما كانت » .

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبير قال : أرض الجنة من فضة .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال : أرض الجنة بيضاء ، وعرصتها صخور الكافور ، وقد أحاط بها المسك مثل كُثْبَان الرمل ؛ فيها أنهار مطردة ؛ فيجتمع فيها أهل الجنة ؛ أولهم وآخرهم ، فيتعارفون . فيبعث الله تعالى ريح الرحمة ، فتهيج عليهم المسك ، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا ، فتقول : لقد خرجت من عندى ، وأنابك معجبة ، وأنابك الآن أشد إعجابًا .

وروى أبو بكر ابن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة فقال : «من يدخل الجنة يحيا لا يموت ، وينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه» قيل : يا رسول الله : كيف بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملا طهامسك أذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران » .

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أبو ذرّ يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا تُرَابُها ، المسك .

وروى مسلم فى صحيحه من حديث حماد ابن سلمة عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال : « درمكة بيضاء مسك خالص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق ، ورواه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة عن الجريرى عن أبى نضرة أن ابن صياد سال النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال : درمكة بيضاء مسك خالص » .

قال : فى « حادى الأرواح » : فهذه ثلاث صفات فى تربتها ، لا تعارض بينها .

فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين . المسك ، والزعفران .

قال أبو بكر ابن أبى شيبة : حدثنا محمد ابن أبى عبيدة عن أبيه عن الأعمش ، عن مالك ابن الحارث قال : قال مغيث بن سمى : الجنة ترابها المسك والزعفران .

ويحتمل معنيين آخرين .

أحدهما : أن يكون التراب من زعفران ، فإذا عجن بالماء صار مسكا ، والطين يسمى ترابا ، ويدل على هذا قوله فى اللفظ الآخر : ملاطها المسك ؛ والملاط الطين ، ويدل عليه أن فى حديث العلاء بن زياد : ترابها الزعفران ، وطينها المسك .

فلما كانت طينتها طيبة وماؤها طيباً ، فإذا انضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكا .

والمعنى الثانى : يكون زعفراناً باعتبار اللون ، مسكا باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شىء ؛ يكون البهجة والإشراق فى لون الزعفران ، والرائحة فى رائحة المسك .

وكذلك تشبيهها بالدرمك ، وهو الخبز الصافى الذى يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها .

وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد : أرض الجنة من فضة ، وترابها مسك ، فاللون فى البياض لون الفضة ، والرائحة رائحة المسك .

﴿ فصــــل ﴾

قال فى « اللطائف » فى قوله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة حين سأله عن بناء الجنة فقال : « لبنة من ذهب ولبنة من فضة » : يحتمل أن المراد بناء قصورها ودورها ، ويحتمل أن يراد ، بناء حائطها وسورها المحيط بها ، وهو أشبه .

وفى مسند البزار عن أبى سعيد مرفوعا : خلق الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك ، فقال لها : تكلمى ، فقالت : « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » فقالت الملائكة : طوبى لك ، منزل الملوك .

ومما يبين أن المراد ببناء الجنة فى الحديث ، بناء سورها المحيط بها ، ما روى عن أبى موسى مرفوعا أو موقوفا : جنتان من ذهب للمقربين ، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين .

وخرج ابن أبى الدنيا من حديث أنس مرفوعا : خلق الله جنة عدن بيده . لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها : انطق ، قالت : « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » قال : وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل .

وروى عطية عن أبى سعيد قال : إن الله خلق جنة عدن من ياقوتة حمراء ، ثم قال لها : تزيّنى ، فتزينت ، ثم قال لها : تكلمى ، قالت : طوبى لمن رضيتَ عنه ثم أطبقها وعلقها بالعرش . فهى تفتح فى كل سحر ، فذلك برد السحر .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « من يدخلها ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » إشارة إلى بقاء الجنة ، وبقاء جميع ما فيها من النعيم ، وأن صفات أهلها الكاملة من الشباب لاتغير أبداً ، وملابسهم التى عليهم من الثياب لاتبلى أبداً .

وقد دل القرآن على مثل هذا فى مواضع كثيرة لقوله عز وجل : « وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ » ، وقوله تعالى : « أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا » ، وقوله جل ذكره : « خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً » .

وفيما ذكره صلى الله عليه وسلم فى صفة من يدخل الجنة تعريض بذم الدنيا الفانية فإنه من يدخلها وإن نعم فيها فإنه يبأس، ومن أقام فيها فإنه يموت ولا يخلد ، ويفنى شبابه ، وتبلى ثيابه .

وفى هذا التعريض بذم الدنيا وفنائها ، مدح للآخرة ، وذكر كمالها وبقائها كما قال تعالى : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ ، وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » .

وقال تعالى : « إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا ، وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً . فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً . كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ . كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .

ثم قال : « وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى ، وَزِيَادَةٌ ، وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

وَقال عز وجل : « وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

وقال تعالى : « اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا . ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً ، وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ * سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ . أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ » .

وقال تعالى مخبراً عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه : « يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ » .

و « المتاع » ما يتمتع به صاحبه برهة ثم ينقطع ويفنى .

فما عيبت الدنيا بأكثر من ذكر فنائها ، وتقلُّب أحوالها ، وهو أدل دليل على انقضائها وزوالها ، فتتبدل صحتها بالسقم ، ووجودها بالعدم ، وشبيبتها بالهرم ،

ونعيمها بالبؤس ، وحياتها بالموت ، فتفارق الأجسامَ النفوسُ ، وعمارتها بالخراب، واجتماعها بفرقة الأحباب .

قال بعض السلف فى يوم عيد وقد نظر إلى كثرة الناس وزينة لباسهم : هل ترون الآخرة تبلى ولحماً يأكله الدود غداً .

كان الإمام أحمد يقول : يا دار تخربين و يموت سكانك .

وفى الحديث : عجباً لمن رآى الدنيا وسرعة تقلبها بأهلها ، كيف يطمئن إليها .

قال الحسن : إن الموت فضح الدنيا فلم يدع لذى لُبٍّ بها فرحاً .

وقال مطرف : إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم ، فالتمسوا نعيما لاموت فيه .

وقال يونس بن عبيد : ما ترك ذكر الموت لنا قرة عين فى أهل ولا مال .

عيوب الدنيا بادية ، وهى بغيرها ومواعظها منادية ، ولكن حبها يُعْمِى ويُصِمُّ . فلا يسمع محبها نداها ولا يرى كشفها للغير و إيذاها شعرا .

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان فى العالم من يسمع
كم واثق بالعمر أفنيتُه ... وجامعٍ بدَّدْتُ ما يجمع

لما أهبط آدم من الجنة ، وُعِدَ العود إليها ، هو ومن آمن من ذريته ، واتبع الرسل.

قال الله تبارك وتعالى : « يا بَنِى آدَمَ إمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِى فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » .

فليبشر المؤمنون بأن لهم الجنة هى إقطاعهم، وقد وصل منشور الإقطاع مع جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم : « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ » .

والمؤمنون فى دار الدنيا فى سفر جهاد يجاهدون فيه النفوس والهوى ، فإذا انقضى

سفر الجهاد عادوا إلى وطنهم الأول الذى كانوا فيه فى صلب آدم . تكفل الله للمجاهد فى سبيله أن يرده إلى وطنه بما نال من أجر أو غنيمة : شعرا

والذى بالبعد والبين بلانى ما تذكرت الحمى إلا شجانى
حبذا أهل الحمى من ساكن شفَّنى الشوق إليهم و برانى
كلما رمت سلواً عنهم جذب الشوق إليهم بعنانى
أحْسد الطير إذا طار إلى أرضهم أو قلعت للطيران
أتمنى أننى أصحبها نحوهم لو أننى أعطى الأمانى
لا تزيدونى غراماً بعدكم حل بى من بعدكم ما قد كفانى
ذهب الدهر ولم أحظ بكم وتقضى فى تمنيكم زمانى
يا خليليَّ احفظا عهدى الذى كنتما قبل النوى عاهدتمانى
واذكرانى مثل ذكرى لكما ومن الإنصاف أن لا تنسيانى
واسْألا من أنا أهواه على أى جرم صَدَّعنِّى رجفانى

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم و يحبونك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين . آمين .

﴿ الباب الخامس : فى غرف الجنة وقصورها و بيوتها ومساكنها ﴾

الحمد لله المتعالى عن الأضداد والأنداد ، والآباء والأزواج ، والأولاد والأمثال ، والأشباه ، الرب المنعم البارئ المصور ، الإله الوكيل ، الكفيل الرقيب ، القريب المجيب من دعاه ، رب المغارب والمشارق ، خالق الإنسان « من ماء دافق » ومقويه بالأكف والمرافق ، والسوق والأفخاذ ، والصدور والرءوس والأفواه فسبحان من أدمع عيوناً ، وأنبع عيوناً ، وأنزل مُزْناً ، وأذهب حزناً وأجرى فيوضاً ، وأزال غموضاً ، وحكم لمن شاء بما شاء ، وعلى من شاء ، ما شاء وأمشاه .

نحمده حمدَ مَنْ مِنْ خوفه فرَقوا ، ولوصله أرقوا ، و بالشوق إليه قلقوا ، و بالذوق إليه سبقوا ، ومن هيبته أطرقوا ، وفى بحر معرفته غرقوا ، و بالثناء عليه نطقوا ، فقالوا ــ حين هم فى سوح حبه قالوا ، ومن سكر ذكره مالوا ــ : إن الهدى هداه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى الخلق والأمر ، والنفع والضر ، والخير والشر ، وتقلب الدهر فكل بقضاه .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ، ومن والاه ، وسلم تسليما .

قال الله تعالى : « لَـكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهار » ، وقال تعالى : « وَهُمْ فى الْغُرُفاتِ آمِنُونَ » ، وقال تعالى : « وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فى جَنَّاتِ عَدْن » .

وأخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءوْن أهل الغرف فوقهم كما تراءون الكوكب الغائر فى الأفق من المشرق أو من المغرب ، لتفاضل ما بينهم » .

قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلى ، والذى نفسى بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

وأخرج أحمد والحاكم وصححه والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنه عن رسول صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها» قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال: « لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قانتا والناس نيام .

وأخرج أحمد عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، و باطنها من

ظاهرها ؛ أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى والناس نيام » .

وأخرج ابن عدى والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة لَغُرَفًا ، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها ، فإن كان خلفها ، لم يخف عليه ما فيها » .

قيل : لمن هى يا رسول الله ؟

قال : « لمن أطاب الكلام ، وواصل الصيام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى والناس نيام » .

قيل : وما طيب الكلام ؟

قال : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فإنها تأتى يوم القيامة ولها مقدمات ، ومجنبات ، ومعقبات » .

قيل : فما وصال الصيام ؟

قال : « من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه » .

قيل : فما إطعام الطعام ؟ قال : « من قات عياله » .

قيل : فما إفشاء السلام ؟ قال : « مصافحة أخيك وتحيته » .

قيل : وما الصلاة والناس نيام ؟ قال : « صلاة العشاء الآخرة » .

وأخرج أبو نعيم عن أبى جعفر فى قوله تعالى : « أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا » قال : على الفقر فى دار الدنيا .

وأخرج ابن المبارك ، والطبرانى ، وأبو الشيخ ، والبيهقى ، عن عمران بن حصين وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية « وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ » قال : « قصر من لؤلؤة ؛ فى ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، فى كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء ،

فى كل بيت سرير ، على كل سرير سبعون فِرَاشاً من كل لون ، على كل فراش زوجة من الحور العين ، فى كل بيت سبعون مائدة ، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام ، فى كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة ، ويعطى المؤمن من القوة ما يأتى على ذلك كله أجمع » .

وأخرج هناد عن عبيد بن عمير قال : قال رسول الله صلى الله عايه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلا لرجل له دار من لؤلؤة واحدة ، غرفها وأبوابها منها » .

وأخرج هناد بن أبى الدنيا عن أبى هريرة رضى الله عنــه قال : دار المؤمن فى الجنة من لؤلؤة وسطها شجرة تنبت الحلل ، يأخذ بأصبعيه سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان .

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المتحابين فى الله لَتُرَى غرفهم فى الجنــة كالـكوكب الطالع الشرقى أو الغربى ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » .

وأخرج الطبرانى عن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله للمتحابين فيه ، والمتزاورين فيه ، والمتباذلين فيه » .

وأخرج الشيخان عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من بنى لله مسجداً يبتغى به وجه الله تعالى ، بنى الله له بيتاً فى الجنة » .

وأخرج البزار والبيهقى ، عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن صليت الضحى اثنتى عشرة ركعة ، بنى الله لك بيتاً فى الجنة » .

وأخرج ابن ماجه عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أخرج أذًى من المسجد ، بنى الله له بيتاً فى الجنة »

وأخرج مسلم عن أم حبيبة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى اثنتى عشرة ركعة تطوعا فى يوم وليلة ، بنى له بهن بيت فى الجنة » . زاد الحاكم : « أربع ركعات قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين قبل العصر ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين قبل الصبح » .

وأخرج ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة ، بنى الله له بيتاً فى الجنة » .

وأخرج ابن المبارك عن عبد الكريم بن الحارث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء ، بنى الله له قصراً فى الجنة » .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذاً تكثر قصورنا ؟ قال : « الله أكثر وأفضل » .

وأخرج الترمذى ، وابن ماجه ، وابن أبى الدنيا ، والحاكم وصححه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير . كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، و بنى له بيتاً فى الجنة » .

وأخرج أبو يعلى عن أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حافظ على أربع ركعات قبل العصر بنى الله له بيتا فى الجنة .

وأخرج البزار عن عائشة رضى الله عنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أيكم أصبح صائماً ؟ » قال أبو بكر : أنا . قال : « أيكم شيّع جنازة ؟ » قال أبو بكر : أنا . قال : « أيكم عاد مريضاً ؟ » قال أبو بكر : أنا .

قال : « أيكم أطعم مسكيناً؟ » قال أبو بكر: أنا . قال : « من كانت له هذه بُنِيَ له بيتٌ فى الجنة » .

وأخرج الطبرانى ، والأصبهانى ، عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ « حم — الدخان » فى ليلة الجمعة ، أو يوم الجمعة ، بنى الله له بيتاً فى الجنة » .

وأخرج الترمذى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون: حمدك واسترجع . فيقول الله : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة ، وسموه بيت الحمد » .

وأخرج الدارمى عن سعيد بن المسيب : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات ، بنى له قصر فى الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة ، بنى له قصران فى الجنة ، ومن قرأها ثلاثين ، بنى له ثلاث قصور فى الجنة » .
فقال عمر بن الخطاب : إذاً تكثر قصورنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله « أوسع من ذلك » .

﴿ فصـــل ﴾

قال فى « اللطائف» : قال بعض السلف : بلغنى أن دور الجنة تبنى بالذِّكر ، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء ، فيقال لهم ، فيقولون : حتى تأتينا نفقة .

وعن الحسن أنه قال : الملائكة يعملون لبنى آدم فى الجنان ، يغرسون و يبنون ، فربما أمسكوا فيقال لهم : قد أمسكتم ، فيقولون : حتى تأتينا النفقات .

فقال الحسن : فابعثوهم ـ بأبى أنتم وأمى ـ على العمل .

أرض الجنة اليوم قيعان ، والأعمال الصالحة لها بنيان ، بها تبنى القصور ، وتغرس أرض الجنان ؛ فإذا تكامل الغراس والبنيان ، انتقل إليه السكان .

رأى بعض الصالحين فى منامه قائلا يقول له : قد أمرنا بالفراغ من بناء دارك ، واسمها دار السرور ، فأبشر ، وقد أمرنا بتبخيرها وتزيينها ، والفراغ منها إلى سبعة أيام .

فلما كان بعد سبعة أيام مات فرَّنِىَ فى المنام فقال : أُدْخِلْتُ فى دار السرور فلا تسأل عما فيها ، لم نرمثل الكريم إذا حلّ به المطيع .

ورأى بعضهم كأنه أدخل الجنة ، وعرض عليه منازله وأزواجه . فلما أراد أن يخرج ، تعلق به أزواجه وقالوا له : بالله حسن عملك ؛ فكلما حسَّنْتَ عملك ، ازددنا ـ نحن ـ حسناً .

العاملون اليوم يسلفون رءوس أموال الأعمال فيما تشتهى الأنفس ، وتلذ الأعين إلى أجل يوم المزيد ، فى سوق الجنة ، فإذا حل الأجل ، دخلوا السوق ، فحملوا منه ما شاءوا بغير نقد ثمن ، على قدر ما سلف من تعجيل رأس مال السلف ، لكن بغير مكيال ولا ميزان .

فيامن عزم أن يُسْلِفَ اليوم إلى ذلك الموسم ؛ عَجِّل بتقبيض رأس المال ، فإن تأخير القبض يفسد العقد .

فَلله ذلك السوق الذى هو موعد المزيد لِوَفْدِ الحبيب :

فى الحديث . إن الجنة تقول : يارب ، ائتنى بأهلى وبما وعدتنى ، فقد كثر حريرى وإستبرقى ، وسندسى ولؤلؤى ، ومرجانى وفضتى ، وذهبى وأباريقى ، وخمرى وعسلى ولبنى فائتنى بأهلى وما وعدتنى .

قال عون ابن عبد الله ابن عتبة : بنى ملك ممن كان قبلنا مدينة فتوثق فى بنائها . ثم صنع طعاماً ودعا الناس إليه ، وأقعد على أبوابها ناساً يسألون كل من خرج : هل رأيتم عيباً ؟ فيقولون : لا ، حتى إذا جاء فى آخر الناس قوم عليهم أكسية ، فسألوهم : هل رأيتم عيباً فقالوا : عيبين . قال : وما هما ؟ قالو : تخرب ويموت صاحبها :

قال : أفتعلمون داراً لاتخرب ولا يموت صاحبها ؟ قالوا : نعم . قال : وما هى ؟ قالوا : الجنة .

قال : فدعوه فاستجاب لهم وانخلع من ملــكه وتعبد معهم .

فحدث عون بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فوقع منه موقعا ، حتى هم أن يخلع نفسه من الملك. فأتاه ابن عمه مسلمة فقال: اتق الله يا أمير المؤمنين فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فو الله إن فعلت ليقتتلُنَّ بأسيافهم .

قال : ويحك يا مسلمة ، حملت مالا أطيق . وجعل يرددها ، ومسلمة يناشده حتى سكن .

أبدان العارفين فى الدنيا وقلوبهم فى الآخرة « شعراً » :

جسمى معى غير أن الروح عندكم　　فالجسم فى غربة والروح فى وطن

كم لله من لطف وحكمة ، فى إهباطَ آدم إلى الأرض .

لو لا نزوله ، لمـا ظهر جهاد المجاهدين ، واجتهاد العابدين المجتهدين ، ولا صعدت زفرات أنفاس التائبين ، ولا نزلت قطرة دموع المذنبين .

يا آدم إن كنت أهبطت إلى الأرض من دار القرب ، فإنى أجيب دعوة الداعى إذا دعان :

إن كان حصل لك بالإخراج من الجنة كسر ، فإنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى :

إن كان فاتك فى السماء زجل المسبحين ، فقد تعوضت فى الأرض بسماع أنين المذنبين ، زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار ، وأنين المذنبين يزينه الانــكسار .

سبحان من إذا لطف بعبده فى المحن قلبها مِنَحاً ، و إذا خذل عبداً لم تنفعه كثرة اجتهاده .

لقن آدم حجته وألقى إليه ما تقبل به توبته « فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ » وطرد إبليس بعد طول خدمته ، فصار عمله هباء منثوراً قال : « اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » .

إذا وضع عدله على عبد ، لم تبق له حسنة ، و إذا بسط فضله على عبد ، لم تبق عليه سيئة (شعرا)

يُعْطِى ويَمْنَعُ ما يشاء كما يشا وَهِبَاتُهُ ليست تقارنها الرُّشَا

ظهر فضل آدم على الخلائق بالعلم ، وكان العلم لا يكمل بدون العمل بمقتضاه .

ودار الجنة ليست دار عمل ومجاهدة ؛ إنما هى دار نعيم ومشاهدة .

قيل له : يا آدم اهبط إلى رباط الجهاد ، وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد ، وَاذْرِ دموع الأسف على البعاد ، فكأنك على العيش الماضى وقد عاد على أكمل من ذلك المعتاد (شعرا)

تشا غلتمُ عنا بصحبة غـــيرنا وأبديتم الهجران ما هكذا كنا

وأقسمتم أن لا تحولوا عن الهوى فحلتم عن العهد القديم وما حلنا

ليالى كنا نشتفى من وصالـكم وقلبى إلى تلك الليالى قد حَنَّا

اللهم يامن ستر الزلات ، وغفر السيئات ، وأبدلها حسنات ، أجرنا من مكرك ، وزينا بذكرك ، واستعملنا فى أمرك ووفقنا لشكرك ، واغفر لنا ولو الدينا ، ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين. آمين .

﴿ الباب السادس : فى رائحة الجنة ﴾

الحمد لله مُنزل الآيات البينات ، ومبين المأمورات المعينات ، ومعين مبهمات المنهيات ، ومصور الكليات والجزئيات ، ومظهر الجليات المرادة والخفيات ، ومفضل الأحوال السنيات ، ومحسن الوقوف على قطوف جنات هبات القربات .

فسبحان من أدرَّسحاب النور الفائض الحبور ، على من غردت قلوبهم بذكر محبوبهم أعجب من تغريد الطيور ، فى الأصائل والبكور ، وكان كل منها صحيحا لأنه مكسور ، وهو عند المنكسرة قلوبهم من أجله فى جميع الأوقات .

نحمده حمد المتطهرين بماء الدموع من دنس الوقوع فى المخالفات .

ونشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له ، المرشد إلى التطهير من رجس الغفلات.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، طاهر الذات والصفات ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الفرسان أولى الفراسات ، وسلم تسليماً .

أخرج البخارىّ عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل نفساً معاهدة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » .

وأخرج أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل معاهداً ، له ذمة الله ورسوله ، لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من سبعين خريفا » .

وأخرج الحاكم وابن حبان ، عن أبى بكرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل نفسا معاهدة بغير حقها ، لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

وأخرج الشيخان عن معقل ابن يسار رضى الله عنه،قال:سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، فلم يحفظها بنصيحة إلاّ لم يجد رائحة الجنة » .

وأخرج أبوداود وابن حبان والحاكم وصححه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم علما مما يُبْتَغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا ، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة .

وأخرج أحمد وابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ادَّعى إلى غير أبيه ، لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تراح رائحة الجنة من مسيرة خمسمائة عام ، ولا يجد ريحها منَّانٌ بعمله ، ولا عاقٌّ ، ولا مُدْمِنُ خمر » .

وأخرج الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه وسلم : « ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام . والله لا يجدها عاقٌّ ، ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زانٍ ، ولا جارٌّ إزاره خيلاء » .

وأخرج أبو داود والترمذى وحسنه ، وابن ماجه وابن حبان ، والبيهقى عن ثوبان رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس ، فحرام عليها رائحة » .

وفى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه قال : لم يشهد عمى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً ؛ قال : فشق عليه ؛ قال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ، فإن أرانى الله مشهداً فيما بَعْدُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع . قال:فهاب أن يقول غيرها ؛ قال : فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم « أحد » قال . فاستقبل سعد ابن معاذ فقال له : أين ؟ فقال : واهاً لريح الجنة أجده دون « أُحُد » قال : فقاتلهم حتى قتل ، قال : فوجد فى جسده بضع وثمانون ، من بين ضربة ، وطعنة ، ورمية .

فقالت أخته ـ عمة الربيع بنت النضر ـ :فما عرفت أخى إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ » قال : فكانوا يرون أنها نزلت فى أصحابه .

قال : فى « حادى الأرواح » : وريح الجنة نوعان : ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانا ، لا تدركه العبارة ، وريح يدرك بحساسة الشم للأبدان كما يشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة ، من قرب وبعد ، وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله .

وهذا الذى وجده أنس ابن النضر ، يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول . والله أعلم .

وقد أشهد الله سبحانه عباده فى هذه الدار آثاراً من آثار الجنة ، وأنموذجا من الرائحة الطيبة واللذات المشتهيات والمناظر البهية ، والفاكهة الحسنة ، والنعيم والسرور وقرةالعين .

وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل للجنة : طيبى لأهلك فتزداد طيبا ، فذلك البرد الذى يجده الناس بالسحر من ذلك » ، كما جعل سبحانه نار الدنيا ، وآلامها ، وغمومها وأحزانها ، مذكرة بنار الآخرة.

قال تعالى فى هذه الدار : « نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً » .

وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم . فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها . والله المستعان . انتهى .

﴿ فصـــل ﴾

قال فى « اللطائف » لاشك أن الله تعالى خلق لعباده دارين ، يجزيهم فيها بأعمالهم مع البقاء فى الدارين من غير موت ، وخلق داراً معجلة للأعمال وجعل فيها موتاً وحياة ، وابتلى عباده فيها ، بما أمرهم به ونهاهم عنه ، وكلفهم فيها الإيمان بالغيب ، ومنه الإيمان بالجزاء ، والدارين المخلوقتين له . وأنزل بذلك الكتب ، وأرسل به الرسل ، وأقام الأدلة الواضحة على الغيب الذى أمر بالإيمان به ، وأقام علامات وأمارات تدل على وجود دار الجزاء ، فإن أحد الدارين المخلوقتين للجزاء ، دار نعيم محض لا يشوبه ألم ولا خزى ، ودار عذاب محض ، لا يشوبه راحة .

وهذه الدار الفانية ممزوجة بالنعيم والألم . فما فيها من النعيم ، يذكر بنعيم الجنة وما فيها من الألم ، يذكر بألم النار .

وجعل الله تعالى فى هذه الدنيا أشياء كثيرة ، تذكر بدار الغيب المؤجلة الباقية

فمنها : ـ ما يذكر بالجنة من زمان ومكان ؛ أما المكان : فخلق الله تعالى بعض البلدان ، كالشام وغيرها ، فيها من المطاعم والملابس والمشارب ، وغير ذلك ، من نعيم الدنيا ، مما يذكر بنعيم الجنة .

وأما الزمان : فكزمن الربيع ، فإنه يذكر طيبه بنعيم الجنة وطيبها ، وكأوقات الأسحار ، فإن بردها يذكر ببرد الجنة .

ومنها :ـ ما يذكر بالنار . فإن الله تعالى جعل فى الدنيا أشياء كثيرة تذكر بالنار المعدة لمن عصاه ، بما فيهما من الآلام والعقوبات ، من أماكن ، وأزمان ، وأجسام وغير ذلك .

أما الأماكن ، فكثير من البلدان مفرط الحر والبرد ، فبردها يذكر بزمهرير جهنم ، وحرها يذكر بحر جهنم وسمومها ، وبعض البقاع يذكر بالنار ، كالحمام .

كان السلف يذكرون النار بدخول الحمام ، فيحدث لهم عبادة .

دخل بعضهم الحمام فسمع تاليا يتلو « وَ إِذْ يَتَحَاجُّونَ فِى النَّارِ » فَغُشِىَ عليه .

وكان بعضهم إذا أصابه كرب الحمام : يقول : يا بَرُّ يا رحيمُ ، مُنَّ علينا وقِنا عذاب السَّمُومِ .

صب بعض الصالحين على رأسه ماء من الحمام ، فوجده شديد الحر ، فبكى . وقال : ذكرت قوله تعالى « يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ » .

ما رآى العارفون شيئاً من الدنيا إلا تذكروا به ما وعد الله به من جنسه فى الآخرة (شعرا)

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرونا

وأما الأزمان ، فشدة الحر والبرد ، تذكر بما فى جهنم من الحر والزمهرير .

وأما الأجسام المشاهدة فى الدنيا ، المذكرة بالنار ، فكثيرة . منها ، الشمس عند اشتداد حرها ، وقد روى أنها خلقت من النار وتعود إليها .

كان بعضهم إذا رجع من الجمعة فى حر الظهيرة ، يذكر انصراف الناس من موقف الحساب إلى الجنة والنار ، فإن الساعة تقوم يوم الجمعة ، ولا ينتصف ذلك النهار

حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار . قاله ابن مسعود ، وتلا قوله تعالى: « أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً » .

وينبغى لمن لايصبر على حر الشمس فى الدنيا أن يجتنب من الأعمال مايستوجب صاحبه دخول النار ، فإنه لاقوة لأحد عليها ولا صبر (شعرا) :

نَسِيتَ لظى عند ارتــكابك للهوى ... وأنت تَوَقَّى حر شمس الهواجر
كأنك لم تدفن حميا ولم تــكن ... له فى سياق الموت يوماً بحاضر

ومما يدل على الجنة والنار أيضاً مايعجله الله فى الدنيا لأهل طاعته وأهل معصيته ؛ فإن الله يعجل لأوليائه وأهل طاعته من نفحات نعيم الجنة وروحها ، مايجدونه ويشهدونه بقلوبهم ، مما لاتحيط به عبارة ، ولا تحصره إشارة ؛ حتى قال بعضهم : إنه لتمر بى أوقات أقول : إن كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه فإنهم فى عيش طيب .

قال أبو سليمان : أهل الليل فى ليلهم، ألذ من أهل اللهو فى لهوهم .

وقال بعضهم : الدجى باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، وسراج العابدين ، أهل التقوى فى نعيم ، حيث كانوا فى الدنيا ، وفى البرزخ وفى الآخرة (شعرا) :

العيش عَيْشُهمُ والملك مُلْــكهمُ ... ماالناس إلاَّهُمُ بَانُوا أو اقتربوا

وأما أهل المعاصى والإعراض عن الله ، فإن الله يعجل لهم فى الدنيا من أنموذج عقوبات جهنم ، مالا يعرف أهله إلا بالتجربة والذوق . فلا تسأل عماهم فيه من ضيق الصدر ، وحرجه ، ونــكده . وهذا من نفحات الجحيم المعجلة لهم . ثم ينتقلون بعد هذه الدار إلى أشد من ذلك وأضيق .

ولذلك يضيق على أحدهم قبره ، حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويفتح له باب إلى النار ، فيأتيه من سمومها . قال تعالى : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْــكاً » وورد فى الحديث المرفوع ، تفسيرها بعذاب القبر .

ثم بعد ذلك يصيرون إلى جهنم وضيقها . قال تعالى : « وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا » شعرا :

لو أبصرتْ عيناك أهل الشقا ... سيقوا إلى النار وقد أُحْرِقوا
تقول أُخْرَاهم لأُولاهمُ ... فى لجج المُهْلِ وقد أُغْرِقُوا
قد كنتمُ خُوِّفْتُمُ حرَّها ... لكن من النيران لم تَفْرَقُوا
وجىء بالنيران مزمومة ... شرارها من حولها محدِقُ
وقيل للنيران أنْ أحْرِقى ... وقيل للخُزَّان أَنْ أَطْبِقوا
وأوليـاء الله فى جنـة ... قد تُوِّجوا فيها وقد طُوِّقُوا
تدبروا كم بينهم إخوتى ... ثم أَجِيلوا فكركم واتقوا

كان بعض السلف يخرج فى أيام الرياحين والفواكه إلى السوق ، فيقف وينظر ويعتبر ، ويسأل الله الجنة .

ومرَّ سعيد بن جبير بشباب من أبناء الملوك جلوس مجالسهم فى زينتهم ، فسلموا عليه ، فلما بَعُدَ عنهم ، بكى واشتد بكاؤه وقال : ذكرت بهؤلاء شباب أهل الجنة .

تزوج صلت بن أشيم بمعاذة العدوية وكانا من كبار الصالحين ، فأدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله على زوجته فى بيت مطيب مبخر ، فقاما يصليان إلى الصباح فسأله ابن أخيه عن حاله فقال : أدخلتنى بالأمس بيتا أذكرتنى به النار ـ يعنى الحمام ـ وأدخلتنى بيتا أذكرتنى به الجنة فلم يزل فكرى فى الجنة والنار إلى الصباح .

دعا عبد الواحد بن زيد إخوانه على طعام صنعه لهم فقام على رءوسهم عتبة الغلام يخدمهم وهو صائم وهم يأكلون ، فجعلت عيناه تذرفان فسأله عبد الواحد بَعْدُ عن

سبب بكائه فقال : ذكرت موائد أهل الجنة إذا أكلوا ، وقام الولدان على رءوسهم .

إنما جعلت الدنيا مرآة لينظر بها إلى الآخرة لا لينظر إليها . (شعراً) :

كفى حزنا أن لاأعاين بقعة   من الأرض إلا ازددت شوقاً إليكم

وإنى متى ماطاب لى خفض عيشة   تذكرت أياماً مضت لى لديكم

اللهم تجاوز عن إساءتنا بجميل كرمك ، ولا تقطع عنا عوائد نعمك .

اللهم اجعل الإيمان لنا سراجاً ، ولا تجعله لنا استدراجا ، واجعله لنا سلما إلى جنتك ، ولاتجعله مكرا من مشيئتك . إنك أنت الحليم الغفور الكريم الشكور ، برحمتك ياأرحم الراحمين . آمين .

﴿ الباب السابع : فى أشجار الجنة وظلالها ﴾

الحمد لله الذاكر من ذكره ، والموالى مزيد الإنعام على من شكره ، الذى لايقل نائله ولا يخيب سائله ، انفرد بالغنى ذاتا وصفة ، ومن عرفه بذلك وصفه .

فسبحان من لايعرف قدره غيره ، وسبحان من احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، الله لا إله إلا هو الباطن الظاهر . الواسع المحيط القهار .

نحمده حمد من ذكروه فى الغداة والعشى والرواح والغدو ، ومن لامقيل له عن ذكره ومراقبته ، ولا قرار ولا هدو .

ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، الذى بذكره تطمئن القلوب ، ويعطف على المحب المحبوب .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل من فنى وجوده فى محبة معبوده ، وعلى آله وأصحابه الذين اقتبسوا من مشكاته العلوم والمعارف ، التى يعجز عن وصفها الواصف ، وسلم تسليما .

قال الله تعالى : « وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ » وقال تعالى : « ذَوَاتَا أَفْنَانٍ » وهى جمع « فنن » وهو الغصن ، وقال تعالى : « فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ » .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، مايقطعها اقرأوا . إن شئتم « وَظِلٍّ مَمْدُودٍ » .

وأخرج ابن حبان عن أبى سعيد رضى الله عنه : أن رجلا قال : يا رسول الله . ما طوبى؟ قال : شجرة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها .

وأخرج الترمذى وحسنه وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مافى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » .

وأخرج ابن المبارك ، وابن أبى حاتم ، وابن أبى الدنيا والحاكم وصححه ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر ، وكرانيفها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة أهل الجنة ، منها مقطعاتهم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ، وليس لها عجم .

وأخرج البيهقى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال أعرابى : يارسول الله لقد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية ، وما كنت أرى أن فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : « فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ » يخضد الله شوكه ، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ؛ إنها تنبت ثم يتفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ، مامنها لون يشبه الآخر » .

وأخرج سعيد بن منصور ، والبيهقى عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى

قوله تعالى : « وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً » قال : إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قِيَاماً وقعوداً ومضطجعين ، على أى حال شاءوا .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن فى الجنة شجرة يقال لها طوبى ، يقول الله لها تفتقى لعبدى عما شاء فتتفتق عن فرس بلجامه وسرجه وهيئته كما شاء ، وتتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء وعن الثياب .

وأخرج الترمذى ، والحاكم وصححه ، عن جابر رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال سبحان الله العظيم . غرست له نخلة فى الجنة .

وأخرج البزار عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من قال سبحان الله وبحمده ، غرست له نخلة فى الجنة » :

وأخرج الحاكم وصححه ، وابن ماجه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ به وهو يغرس غرساً فقال : « ألا أدلُّك على غرس خيرٍ لك منه؟ » فقلت : ماهو؟ قال : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . يغرس لك بكل واحدة شجرة »

وأخرج الترمذى ، وحسنه ، والطبرانى ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أريتُ إبراهيم ليلة أُسْرِى بى ، فقال : يامحمد أقرئ أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعانٌ وغراسها قول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » زاد الطبرانى « ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم »

وأخرج الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « مامن عبد يسبح الله تسبيحة أو يحمده تحميدة أو يكبره تكبيرة إلا غرس له بها شجرة فى الجنة ، أصلها من ذهب

وأعلاها من جوهر ، مكلل بالدر والياقوت ، ثمرها كَثَدْيِ الأبكار ، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل ، كلما جُزَّ منها شيء ، عاد مكانه ، ثم تلا . « لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ » .

وأخرج البيهقي والبزار عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عند ختم القرآن دعوة مستجابة ، وشجرة فى الجنة » .

وأخرج الطبرانى عن قيس بن زيد الجهنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام تطوعا يوما ، غُرِسَتْ له شجرة فى الجنة ، ثمرها أصغر من الرمان ، وأضخم من التفاح ، وعذوبته كعذوبة الشهد ، وحلاوته كحلاوة العسل ، يطعم الله منه الصائم يوم القيامة .

وأخرج البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مشى إلى غريمه بحقه ، صلَّتْ عليه دوابُّ الأرض ، ونون الماء ، ونبتت له بكل خطوة شجرة فى الجنة ، وذنب يغفر .

وأخرج ابن أبى شيبة والطبرانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يرتع فى رياض الجنة ، فليكثر ذكر الله » .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق ، قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة ، أهل الغرف وغيرهم ، فيتحدثون فى ظلها . قال : فيشتهى بعضهم ويذكر لَهْوَ الدنيا ؛ فيرسل الله ريحاً من الجنة ، فتتحرك تلك الشجرة بكل لَهْوٍ فى الدنيا .

وعن جرير ابن عبد الله رضى الله عنه قال : نزلنا الصِّفاحَ . فإذا رجل نائِم تحتَ شجرةٍ قد كادتِ الشمسُ أن تبلغه . قال : فقلتُ للغلام : انطلق بهذا النطعِ وظَلِّلْه . قال : فانطلقَ فأظَلَّه . فلما استيقظَ ، فإذا هو سلمانُ . فأتيتُه أسلم عليه فقال : يا جريرُ تواضعْ للهِ فى الدنيا ، فإنه من تواضعَ لله فى الدنيا رفعه الله يومَ القيامة .

يا جَرِيرُ ، هل تدرى ما الظلماتُ يومَ القيامة ؟ قلت : لا أدرى . قال : ظلمُ الناس بينهم. ثم أخذ عُويداً لا أكادُ أراه بين إصبعيه فقال : يا جريرُ لو طلبتَ فى الجنةِ مثلَ هذا لم تجده .قلت : يا أبا عبد الله ، فأين النخل والشجرُ ؟ قال : أصولُها اللؤلؤُ والذهبُ ، وأعلاها الثمر .

﴿ فصــــل ﴾

قال فى « اللطائف » : كان بعضُ الصالحين كثير التهجد والصيام ، فصلى ليلةً فى المسجد ودعا ، فغلبته عيناه ، فرآى فى منامه جماعةً عِلم أنهم ليسوا من الآدميين ، بأيديهم أطباقٌ عليها أرغفةً ببياض الثلج ، فوقَ كل رغيفٍ درٌّ أمثالُ الرمان ، فقالوا : كلْ ، فقال : إنى أريدُ الصومَ ، قالوا له : يأمرُك صاحبُ هذا البيت أن تأكل ؛ قال فأكلتُ وجعلتُ آخذُ ذلك الدر لأحتمله . فقالوا لى : دَعْهُ نغرسْهُ لك شجرا ينبتُ لك خيراً من هذا . قال : أين ؟ قالوا : فى دارٍ لا تخرب ، وثمرٍ لا يتغير ، وملكٍ لا ينقطع ، وثيابٍ لا تبلى ، فيها رضى وقرةُ عينٍ ، أزواجٌ رضيات مرضيات لا يغرنَ ، فعليك بالانكماشِ فيما أنت فيه ، فإنما هى غفوةٌ حتى ترحل ، فتنزلَ الدار . فما مكث بعد هذه الرؤيا إلا جمعتين حتى توفى .

فرآه بعضُ أصحابهِ فى المنام ، الذين حدثهم برؤياه وهو يقول : ألا تعجب من شجرٍ غرسَ لى فى الجنة فى يومٍ حدثتُك وقد حمل ؟ فقالوا له : ما حمل ؟ فقال : لا تسألْ ، لا يقدرُ أحدٌ على صفتهِ ، لم يُرَ مثلُ الكريم إذا حَلَّ به مطيعٌ (شعرا)

من يرد ملك الجنان ... فليدع عنه التوانى

وليقم فى ظلم الليـــل إلى نور القران

وَلْيَصِلْ صوماً بصوم ... إن هذا العيش فانى

إنما العيش جوار اللـــه فى دار الأمانى

يادَنِيَّ الهمة ، قنعت بروضة على مزبلة ، والملك يدعوك إلى فردوسه الأعلى ؟

« أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ؟ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ » .

أرضيتم بخربات البلى من الفردوس الأعلى ؟! .

أتقنع بحشاش الحشاش ، والرياض معشبة بين يديك ؟! .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف على أمته من فتح الدنيا عليهم الافتتان كما فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ أَخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لـكم من زهرة الدنيا » قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله ؟ قال : « بركات الأرض » الحديث .

ومراده ، ما يفتح على أمته منها ، من ملك فارس والروم وغيرهم من الـكفار ، الذين ورثت هذه الأمة ديارهم وأموالهم وأرضهم ، التى تخرج منها زروعهم وثمارهم وأنهارهم ومعادنهم ، وغير ذلك مما يخرج من بركات الأرض .

وهذا من أعظم المعجزات ، وهو إخباره بظهور أمته على كنوز فارس والروم ، وأموالهم وديارهم ؛ ووقع على ما أخبر به .

فالذى بشر أمته بفتح الدنيا عليهم ، حَذَّرهم من الاغترار بزهرتها ، وخوَّفهم من خضرتها وحلاوتها ، وأخبرهم بخرابها وفنائها ، وأن بين أيديهم داراً لا تنقطع خضرتها وحلاوتها .

فمن وقف مع زهرة هذه العاجلة ، انقطع وهلك ، ومن لم يقف معها وسار إلى ملـكه ، وصل ونجا .

وفى المسند ، عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ، ملـكان ، فقعد أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه .

فقال أحدهما للآخر : اضرب له مثلا .

فقال : مثله ومثل أمته ، كمثل قوم سَفْرٍ ، انتهوا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ، ولا يرجعون به .

فبينما هم كذلك ، إذ أتاهم رجل فى حُلَّة حبرة فقال : أرأيتم إن أوردت بكم رياضا مُعْشِبَةً ، وحياضا وماء ، أتتبعونى ؟ فقالوا : نعم . قال : فانطلق بهم وأوردهم رياضا مُعْشِبَةً ، فأكلوا ، وشربوا ، وسمنوا .

فقال لهم : ألم ألقكم على هذا الحال فجعلتم لى إن أوردت بكم رياضا معشبة وحياضا وماء لتتبعونى ؟ قالوا : بلى .

قال : فإن بين يديكم رياضاً هى أعشب من هذه ، وحياضاً هى أروى مُن هذه ، أفتتبعونى ؟

قال : فقالت طائفة : صدق والله ، لنتبعنَّه .

وقالت طائفة : قد رضينا بهذا ، نقيم عليه .

وقد خرجه ابن أبى الدنيا وغيره عن الحسن مرسلا بسياق أبسط من هذا ، وفيه : « أنهم لما رتعوا ، وسمنوا ، وأعجبهم المنزل ، صاح بهم فقال : « ارتحلوا فإن هذه الروضة ذاهبة ، و إن هذا الماء غائر ذاهب ، و إن أمامكم روضة أعشب من هذه ، وماء أروى من هذا » .

فكره ذلك عامة الناس وقالوا : ما نريد بهذا بدلاً ، وهم أكثر الناس ، وقال آخرون : إن آخر قوله كأوله ، ارتحلوا فأبوا ، فارتحل قوم فنجوا .

ولم يشعر الذين أقاموا ، حتى طرقهم العدو ليلا ، فأصبحوا من بين قتيل وأسير .

الدنيا فى الحال ، حلوة خضرة ، وفى المآل ، مُرَّةٌ كدرة ، نعمت المرضعة ، و بئست الفاطمة .

إنما الدنيا نهار ضوؤه ضوء يعار
بينما عيشك غَضٌّ نَاعِمٌ فيه اخْضِرَارُ
إذْ رَمَاهُ الدهر يوماً فإذا فيه اصفرار
وكذاك الليل يَأْتِى ثم يمحوه النهار

اللهم احمنا من المخالفة والعصيان ، واصرف عنا آفات التفريط والنسيان ، وحَسِّن إيمـاننا بالتوفيق ، وزيِّنْ سرائرنا بالتحقيق ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين . آمين .

﴿ الباب الثامن : فى ثمار الجنة وصفاتها وأكل أهلها

الحمد لله المرتدِى بالـكبرياء ، المتَّزِر بالعظمة الذى هو بالنور محتجب ، احتجب عن الأبصار والعقول ، وحجب مَنْ سواه عن الإحاطة كما يقول : « وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً » فَلْيَحْذَرِ الجهول .

اسمع هذا المقال وأتقنه ، واحفظه عن التخيل وصُنْهُ . إن تبرأت منك تحققت لدنه ، وهو كوّنك ولم تكنه ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، ورهب ورغب .

فسبحانه من ظاهر فى جميع المظاهر ، ومن باطن فى الباطن والظاهر ، ومن أولٍ ولا أول ، وهوَ الأول. ولا آخر وهو الآخر ، ومن منزه عما يتوهمه الخيال والخاطر وإن حسن وأحب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القريب من عبده ، ومجيبه وشهيده ورقيبه .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، ومحبه وحبيبه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن لآثارهم متبع ، ولنهجهم محب ، وسلَّم تسليما .

قال الله تعالى : « وَلَهُمْ فِيهاَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ » وقال تعالى : « أُولَئِكَ لَهُمْ رِزقٌ مَعْلُومٌ ٭ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ » وقال عز وجل : « وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ » وقال جل ذكره : « وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهاَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا » .

وأخرج البزار والطبرانى عن ثوبان: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها إلا أعيد فى مكانها مثلاها » .

وأخرج أبو يعلى بسند حسن ، عن أبى سعيد رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الجنة ، فذهبت لأتناول منها قطفاً أريكموه ، فَحِيلَ بينى وبينه » .

فقال رجل : يا رسول الله ، مَثِّلْ لنا ، ما الحَبَّةُ من العنب ؟ قال : « كأعظم دَلْوٍ فرت أمك قط » .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن مسعود رضى الله عنه : أنه كان بالشام ، فتذاكروا الجنة فقال : إن العنقود من عناقيدها ، من هٰهُنَا إلى صنعاء .

وأخرج أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « الرمانة من رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير ، يأكلون منها ، فإن جرى على ذكر أحدهم شىء يريده وجده فى موضع يده حيث يأكل » .

وأخرج ابن أبى حاتم ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « نظرت إلى الجنة ، فإذا الرمانة من رمانها مثل البعير المقتب » .

وأخرج أحمد بسند صحيح ، والنسائى ، عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : « جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أبا القاسم ، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ .

فقال : « والذى نفسى بيده ، إن الرجل منهم لَيُؤْتَى قوَّة مائة رجلٍ ، فى الأكل ، والشرب ، والجماع ، والشهوة » .

قال : فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة ؟

قال : « حاجتهم ، عرَقٌ يفيض من جلودهم مثل ريح المسك ، فإذا كان ذلك ، ضمر له بطنه » .

وأخرج هنّاد ، عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة يأكلون ويشربون ، ولا يتغوطون ولا يبولون ، ولا يبزقون ولا يتمخطون ، طعامهم جُشَاء ، ورَشح كرشح المسك » .

وأخرج ابن المبارك ، والطبرانى ، وابن أبى الدنيا بسند رجاله ثقات ، عن أنس رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين ، درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف ، بيد كل واحد صحفتان ، واحدة من ذهب ، والأخرى من فضة ، فى كل واحدة لَوْنٌ ليس فى الأخرى مثله ، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها ، يجد لآخرها من الطيب واللذة ، مثل الذى يجده لأولها ، ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر ، لايبولون ولايتغوطون ، ولا يتمخطون ، إخوان على سرر متقابلين » .

وأخرج البزار ، وابن أبى الدنيا ، والبيهقى ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه ، فيَخِرُّ بين يديك مشويًّا » .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن ميمونة رضى الله عنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرجل ليشتهى الطير فى الجنة ، فيَخِرُّ مثل البختى ، حتى يقع على خوانه لم يُصِبْهُ دخان ، ولم تمسه نار ، فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير » .

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن أبى حاتم ، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا » قال : يُؤْتَوْنَ به فى الآخرة على مقدار ما كانوا يُؤْتَون به فى الدنيا .

وأخرج الحكيم الترمذى ، عن الحسن ، وأبى قلابة قال : قال رجل : يا رسول الله ، هل فى الجنة من ليل ؟ فإن الله تعالى يقول فى كتابه : «وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا» .

قال : « ليس هنالك ليل إنما هو ضوء ونور ، يَرُدُّ الْغُدُوَّ على الرواح ، والرواح على الْغُدُوِّ ، وتأتيهم طُرَفُ الهدايا من الله لمواقيت الصلاة ، التي كانوا يصلون فيها ، وتسلِّم عليهم الملائكة » .

وأخرج ابن المبارك عن أبى قلابة قال : يؤتون بالطعام والشراب ، فإذا كان فى آخر ذلك أوتوا بالشراب الطهور ،فيشربون ، فتنضمر لذلك بطونهم ، ويفيض عرقاً من جلودهم ، أطيب من ريح المسك ، ثم قرأ « شَرَاباً طَهُوراً » .

وأخرج الترمذى من حديث أبى سعيد مرفوعاً « من أطعم مؤمناً على جوع ، أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، ومن سقاه على ظمأ ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، ومن كساه على عُرْيٍ ، كساه الله من خُضْرِ الجنة » .

وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن ابن مسعود قال : « يحشر الناس يوم القيامة أعْرَى ما كانوا قط ، وأجْوَعَ ما كانوا قط ، وأظمأ ما كانوا قط ، فمن كسى لله ، كساه الله ، ومن أطعم لله ، أطعمه الله ، ومن سقى لله ، سقاه الله ، ومن عفا لله ، أعفاه الله » .

﴿ فصــــل ﴾

قال فى « اللطائف » : وروى أن الصائمين توضع لهم مائدة تحت العرش ، فيأكلون والناس فى الحساب ، فيقول الناس : ما بال هؤلاء يأكلون ، ونحن نحاسب ؟ فيقال : كانوا يصومون وأنتم تفطرون .

قال الله عز وجل : « وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً » .

وقال تعالى : « كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ » .

قال مجاهد وغيره : نزلت هذه الآية فى الصُّوَّام ، من ترك لله طعامه وشرابه وشهوته ، عوَّضه الله خيراً من ذلك طعاماً وشراباً لا ينفدان ، وأزواجاً لا تموت .

وفى التوراة : طوبى لمن جوَّع نفسه ليوم الشبع الأكبر ؛ طوبى لمن أظمأ نفسه ليوم الرِّىِّ الأكبر ؛ طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره ؛ طوبى لمن ترك طعاماً فى دار تنفد ، لدار أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا .

وفى المسند عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صام يوماً ، ابتغاء وجه الله ، بعَّده الله من حَرِّ نار جهنم ، كَبُعْدِ غرابٍ طار وهو فرخ حتى مات هرماً » .

وفيه أن أبا أمامة رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى ، قال : « عليك بالصوم فإنه لا عَدْلَ له » .

فكان أبو أمامة وأهله يصومون ، فإذا رأى فى بيتهم دخاناً بالنهار علم أنه قد نزل بهم ضيف .

قال بعضهم : إنما هو غداء وعشاء ، فإن أخرت غداءك إلى عشائك ، أمسيتَ وقد كُتِبْتَ فى ديوان الصائمين ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، إذا وجد العبد ثواب صيامه مدخورا .

صام الأسود بن يزيد ، حتى اخْضَرَّ جسمه ، واصْفَرَّ .

فكان إذا عوتب فى رفقه بجسده يقول : كرامةَ هذا الجسد أريد .

كان بعضهم يسرد الصوم فمرض وهو صائم ، فقالوا له : أفطر ؛ فقال ليس هذا وقت ترك الصوم .

وقيل لآخر منهم وهو مريض : أفطر ؛ فقال : كيف أفطر وأنا أسير بنشاط وعزم .

من صام اليوم عن شهواته ، أفطر عليها غداً عند وفاته ، ومن تعجل ماحرم عليه من لذاته ، عوقب بحرمان نصيبه بعد مماته (شاهد الخمر) من شرب الخمر

فى الدنيا ، لم يشربها فى الآخرة ، ومن لبس الحرير فى الدنيا ، لم يلبسه فى الآخرة (شعراً) :

أنت فى دار شتات فتأهَّبْ لشتاتك
واجعل الدنيا كيوم صُمْتَهُ عن شهواتك
ولْيَكُنْ فطرك عند الله فى يوم وفاتك

الجنة ضيافة الله أعدها الله لعباده المؤمنين نزل فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إليها بالإيمان والإسلام والإحسان ، فمن أجابه دخل الجنة وأكل من تلك الضيافة ، ومن لم يجب، حُرِمَ .

فى بعض الإسرائيليات يقول الله تعالى : ياابن آدم ماأنصفتنى أذكرك وتنسانى وأدعوك إلىَّ فَتَفِرَّ منى إلى غيرى ، وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا . ابن آدم ، ما يكون اعتذارك غداً إذا جئتنى ؟ .

طوبى لمن أجاب دعوة مولاه . ياقومنا أجيبوا داعى الله كل ما فى الدنيا يذكر فى الآخرة ، فمواسمها وأعيادها وأفراحها ، تذكر بمواسم الآخرة وأعيادها وأفراحها . . .

قال : يعقوب بن يوسف الحنفى : بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة : ياأوليائى : طالما نظرت إليكم وقد قطعت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخفت بطونكم كونوا اليوم فى نعيمكم وتعاطَوُا الكأس فيما بينكم ، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية .

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون لايدخل منه غيرهم » وفى رواية : « فإذا دخلوا أغلق » . وفى رواية : « من دخل منه شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً » .

وفى حديث عبد الله بن سمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه الطويل : « ورأيت رجلا من أمتى يَلْهَثُ عطشا ، كلما ورد حوضا مُنِـعَ منه ، فجاءه صيام رمضان فسقاه وأرواه » أخرجه الطبرانى وغيره .

وروى ابن أبى الدنيا بإسنادٍ فيه ضَعْف ، عن أنس مرفوعاً « الصائمون ينفح من أفواههم ريح المسك ، وتوضع لهم مائدة تحت العرش ، يأكلون منها ، والناس فى الحساب .

وعن أنس رضى الله عنه : « إن لله مائدة لم تر مثلها عَيْنٌ ، ولم تسمع أُذُنٌ ولا خطر على قلب بشر ، لايقعد عليها إلا الصائمون » .

رأى بعضهم « بشر بن الحارث » فى المنام و بين يديه مائدة وهو يأكل و يقال له : كل يامن لم يأكل ، واشرب ، يامن لم يشرب .

رأى بعض العارفين فى منامه : أنه دخل الجنة ، فسمع قائلا يقول له : هل تذكر أنك صمت لله يوماً قط ، فقال : نعم . قال : فأخذتنى صَوَانِى النثار من الجنة . « شعراً »

أما آنَ ياصاح أن تستفيقا ... وأن تتناسَى الحِمى والعقيـــقا
وقد ضحكَ الشيبُ فاحزَنْ له ... وصارَ مَسَاوِئُكَ فيه شُرُوقا
وَرَكْبٌ أتاهم وقد عرَّسُوا ... على القاع داعى المنايا طُروقا
تُديرُ عليهم كئوس المنون ... صَبُوحاً على كربها أو غَبُوقاً
ومازالَ فيهم غرابُ الحمـــام ... يُسْمِعهُم للمنايا نَعيقـــا
ويحملُ فى عرصاتِ القصور ... حتى أعاد الفسيحات ضيقا
ألاَ فاحْرِزِ النفسَ عن غَيِّهـــا ... عساكَ تجوزُ الصراط الدقيقا
ودون الصراطِ لنـا موقف ... به يتناسى الصديقُ الصديقا
فتبصرُ ماشئتَ كفًّا تُعَضّ ... وعَيناً تسِـحُّ وقلبـاً خفوقا
إذا أطبقت فوقهم لم تــكنْ ... لتسمع إلا البـكا والشهيقا

شرابُهُم المهـــلُ فى قعرها يقطِّع أوصـــالهم والعروقا
أذٰلكَ خـــيرٌ أم القاصرات تخـــال مباسمُهنَّ الـــبروقا
قصِرْنَ على حبِ أزواجهن فمشتاقة تتلقى مشـــوقا
وترفلن فى سرقات الحرير فتبصرُ عيناك مرأى أنيقا
وأكوابهم ذهبٌ أحمر يطاف بهـا مُتْرَعَاتٍ رحيقسا
إذا جرَتِ الريح فوق الـكثيب أثارت على القوم مسكا سحيقا
ويومَ زيارتهم يركبون إليـه من النور نُجُباً ونُوقا
كلوا واشربوا فاقد طال ما أقمتم بدار الغرور الحقوقا

اللهم اجعل فى قلوبنا نوراً نهتدى به إليك ، وتولّنا بحسن رعايتك حتى نتوكل عليك ، وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك ، فالعزيز من لاذ بعزك ، والسعيد من التجأ إلى حماك وحرزك .

اللهم نزِّه قلوبنا عن التعلق بمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين . آمين .

﴿ الباب التاسع : فى ذكر أنهار الجنة وعيونها وشراب أهلها ﴾

الحمد لله الذى شهدت بوجوده آياته الباهرة ، ودلت على كرمه وجوده ، نعمه الباطنة والظاهرة ، وسبحت بحمده الأفلاك الدائرة ، والرياح السائرة ، والسحب الماطرة ، والرياض الناضرة .

هو الأول وله الخلق والأمر ، والآخر وله الرجوع يوم الحشر ، والظاهر فله الحكم والقهر ، والباطن يعـــلم السر والجهر ، والألسن عن وصف كبريائه قاصرة .

فسبحان من أعطى ومنع ، وخفض ورفع ، وفرّق وجمع ، ووصل وقطع ، و بحكمه ربحت الطائفة الرابحة ، وخسرت الفرقة الخاسرة .

أحمده على ماأولى من النعم .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، إله تعزّز بالبقاء والقدم .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، المبعوث إلى كافة العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كواكب الهدى الزاهرة ، صلاة دائمة إلى يوم الوقوف بالساهرة وسلم تسليما .

قال الله تعالى « تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارِ » وقال تعالى « فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى » وقال تعالى: « عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً » وقال تعالى: « إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » وقال تعالى : « مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ » وقال تعالى : « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُورًا » وقال تعالى : « يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ * الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ .

وأخرج ابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنهار الجنة تفجر من جبال مسك » .

وأخرج ابن المبارك ، وهنّاد ، والبيهقى ، عن مسروق ، قال: « أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود .

وأخرج الترمذى وصححه ، والبيهقى ، عن معاوية بن حيدة : سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول : « إن فى الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار منها بعد » .

وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعا : « إن فى الجنة نهراً يقال له الرَّيَّان ، عليهمدينة من مرْجان ، لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة ، لحامل القرآن .

وأخرج الإمام أحمد ، والدارقطنى ، عن المعتمر بن سليمان قال : « إن فى الجنة نهراً ينبت الجوارى والأبكار » .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى « عَيْنَانِ نضَّاخَتَانِ » قال : فائضتان بالمـاء .

وأخرج بن أبى شيبة عن أنس قال: نضاختان بالمسك والعنبر ، تنضحان على ورد الجنة ، كما ينضح المطر على دور أهل الدنيا .

وأخرج الحكيم فى « النوادر » عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع عيون فى الجنة ، عينان تجريان من تحت العرش ، إحداهما التى ذكر الله « يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً » والأخرى الزنجبيل ، وعينان نضاختان من فوق العرش ، إحداهما التى ذكر الله ، سلسبيلا ، والأخرى ، التسنيم .

وأخرج ابن أبى حاتم ، والبيهقى ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ » قال : الخمر « لاَفِيهَا غَوْلٌ » أى ليس فيها صُداع « وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ » قال: لاتذهب عقولهم . وفى قوله تعالى : « كَأْساً دِهَاقاً » قال: هى المتتابعة الممتلئة» .

وأخرج سعيد بن منصور ، وهناد ،والبيهقى، وابن أبى حاتم،عنابن مسعود قال : الرحيق ، الخمر ؛ والمختوم : يجدون عاقبتها ، طَعْمَ المسك .

وأخرج ابن جرير ، والبيهقى ، عن أبى الدرداء فى قوله تعالى : « خِتَامُهُ مِسْكٌ » . قال : هو شراب أبيض مثل الفضة ، يختمون به أعز شرابهم ،

ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

وأخرج سعيد ابن منصور ، وعبد الرزاق ، وابن أبي حاتم ، والبيهقى ، عن ابن عباس قال : التسنيم ، أشرفِ طعام أهل الجنة ، وهو صِرْفٌ للمقربين ، ويمزج منه لأصحاب اليمين .

وأخرج الغريانى عن ابن عباس فى قوله تعالى : « قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا » قال : أُتُوا بها على قدرهم ، لايفضلون شيئاً ، ولا يشتهون بعدها شيئاً .

وأخرج ابن أبى الدنيا بسند جيد ، عن أبى أمامة ، قال : إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الشراب من شراب الجنة ، فيجىء الإبريق ، فيقع فى يده ، فيشرب ، ثم يعود إلى مكانه .

وأخرج الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رفعه : « أىُّ مؤمن سَقَى مؤمنا شَرْبةً على ظمأ ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم .

وأخرج البزار بسند حسن ، عن أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقينه إياها من حضيرة القدس ومن ترك الحرير وهو يقدر عليه ، لأَكْسُونَّه إياه فى حضيرة القدس» .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من شرب الخمر ثم لم يتب منها ، حُرِمها فى الآخرة ، وإن دخل الجنة .

قال فى «حادى الأرواح» بعد سياق هذه الآية «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ » فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التى تعرض له فى الدنيا .

فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن ، أن يتغير طعمه إلى الحموضة ويصير قابضا ، وآفة الخمر كراهة مذاقتها المنافية للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته .

وهذا من آيات الرب تعالى ، أن أجرى أنهاراً من أجناسٍ لم تجر العادة فى الدنيا بإجرائها ، ويجريها فى غير أخدود وينفى عنها الآفات التى تمنع كمال اللذة بها ، كما نفى عن خمر الدنيا من الصداع والغول ، واللغو ، والإنزاف ، وعدم اللذة .

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا ، تغتال العقل . وتكثر اللغو على شربها ، بل لا يطيب لِشُرّابها ذلك إلا باللغو أو تنزف فى نفسها ، وتنزف المال ؛ وتصدع الرأس ، وهى كريهة المذاق . وهى رجس من عمل الشيطان ، توقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتَصُدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا ، وربما دعت الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الخِزْىَ والندامة والفضيحة ، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان ، وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات ، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات ، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذى فى إفشائه مضرته وإهلاكه ، ومؤاخاة الشياطين فى تبذير المال ، الذى جعله الله قياماً له ولمن يلزمه مؤنته وتهتك الأستار ، وتظهر الأسرار .

وتدل على العورات ، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم ، وتخرج من القلب ، تعظيم المحارم ، ومُدْمِنُها كعابد وَثَنٍ .

وكم أهاجت من حرب ، وأفقرت من غنى ، وأذلَّت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة ، وجلبت من نقمة ، ونسخت مودة ، ونسجت عداوة .

وكم فرقت بين رجلٍ وحِبِّه ، فذهبت بقلبه ، وراحت بلبه ، وكم أورثت من حسرة ، وأجرت من عبرة ، وكم أغلقت فى وجه شاربها باباً من الخير ، وفتحت له باباً من الشر ، وكم أوقعت فى بلية ، وعجَّلتْ من مَنِيَّة ، وكم أورثت من خزية ، وجرَّتْ على شاربها من محنة ، وجرَّأتْ عليه من سَفَلةٍ .

فهى جماع الإثم ، ومفتاح الشر ، وسلاَّبة النعم ، وجلاَّبة النقم .

ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هى وخمر الجنة فى جوف عبد ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من شرب الخمر فى الدنيا ، لم يشربها فى الآخرة » .

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا ، وكلها منتفية عن خمر الجنة .

قال : فإن قيل : فقد وصف الله سبحانه الأنهار بأنهار جارية ، ومعلوم أن الماء الجارى لا يأسن ، فما فائدة قوله : غير آسن ؟

قيل : الماء الجارى وإن كان لا يأسن ، فإنه إذا أُخِذَ منه شيء وطال مُكْثُه أسِنَ .

وماء الجنة لا يعرض له ذلك ، ولو طال مكثه ما طال .

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التى هى أفضل أشربة الناس ، فهذا لِرَيِّهم وطهورهم ، وهذا ، لقوتهم وغذائهم ، وهذا ، للذتهم وسرورهم ، وهذا ، لشفائهم ومنفعتهم .

﴿ فصــل ﴾

قال فى « اللطائف » كان بعض الصالحين قد صام ، حتى انحنى وانقطع صوته ، فرآه بعض أصحابه فى المنام فسأله عن حاله فقال (شعرا)

قد كسى حلة البهاء وطافت بالأباريق حوله الخــدام

ثم حلى وقيل يا قارىء ارقا فلعمرى لقد براك الصيام

قال بعض الملوك لأبى حازم : كيف القدوم على الله ؟ فقال أبو حازم : أما قدوم الطائع على الله ، فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه ؛ وأما قدوم العاصى، فكقدوم الآبق على سيده الغضبان .

قيل فى بعض الأخبار : إن الله تعالى يقول للطائعين يوم القيامة : عبادى

آثرتمونى على شهواتكم ، فأبشروا اليوم بكرامتى ، فوعزتى وجلالى ما خلقت الجنة إلا لكم .

وفى الصحيح : إن الله تعالى خلق خلقا للجنة و بأعمال الجنة يعملون ، وخلق للنار أهلا و بأعمال أهل النار يعملون .

فأولياء الله تعالى فى الدنيا متنعمون بذكره ، ومزينون بطاعته وشكره ، راحة قلوبهم فى التذلل بين يديه ، ونعيم أسرارهم فى الإقبال ، عليه .

فلهم نعيم معجل فى دنياهم ، ولهم الجنة والمزيد فى عقباهم .

والغافلون فى سجن الهوى والعصيان ، وقيد الشقا والحرمان ، مبعودون عن بابه ، محجوبون بحجابه ، فلهم عذاب معجل بما حُرِمُوا من خدمته ، ولهم عذاب شديد فى جهنم مع ما حُرموا من جنته (شعرا)

بل هجره أصعب من ناره	ووصله أحسن من جنته
فالويل كل الويل فى بُعْدِهِ	والنيل كل النيل فى قربته
يامن يريد العز يحظى به	العز كل العز فى خدمته
اقطع تصل أقبل تَرَى بره	تنشق غيث الجود من رحمته
لله عبد شغله ذكره	أسعده بالقرب من حضرته
فشغله تصعيد أنفاسه	يتبعها التقطير من عبرته
إن قال : يا رب يقل ربه	لبيك عبدى سَلْ دَلالاًوَتِهْ

قال بعضهم : إذا كانت الجنة ثمن نفسك ومالك ، ولم تبذل نفسك فى طاعة الله ، ولم تنفق مالك فى مرضات الله . فطلب الثمن فى إمساك المبيع ومنعه لايصح .

طلب الجنة بغير عوض أمانى وغرور ، وطلب القرب ممن لا يطيعه ، تعطيل ونفور .

فى الجنة عينان تجريان ، لمن له اليوم عينان من خشية الله تجريان ، قاصرات الطرف فى الخيام ، لمن قصر طرفه عن الآثام .

رفع الحجاب لمن ترك الإعجاب ، بساتينها زاهرة ، لمن له عين لله ساهرة ، قصورها عالية ، وأثمارها دانية ، ظلها ممدود لمن لا يتعدى الحدود ، عيشها مقيم لمن يؤمن بالله و يستقيم .

فيامن غره الإمهال ،فَجَرَّ أذياله فى الغفلة والإهمال وَنَسِيَ مابين يديه من العظائم ، وما أعدَّه للمحسنين من الكرائم ، أرضيت ببيع حظك بزيوف شهواتك ، ؟ أم قنعت من غنائم المجاهدين فى سبيل الله بكناسة منازل غفلاتك ؟ خسرت ـ والله ـ صفقةً من باع لحظة ، لكن قد قال العليم : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ » (شعرا)

وعظَتْك أجداثٌ صُمُت ونعتك أزمنـــة خُفُت

وأرتك قبرك فى القبو ر وأنت حىٌّ لم تَمُتْ

اللهم سلمنا من جميع الآفات ، وعافنا من أسباب الفتن والبليات ، وارفع لنا ـ فى مرضاتك ـ الدرجات ، واختم أعمالنا بالصالحات ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك ، يا أرحم الراحمين .

﴿ الباب العاشر ﴾

﴿ فى لباس أهل الجنة ، وحليتهم ، وفرشهم وأرائكهم ، وسررهم ﴾

الحمد لله الذى تفرد بالجلال ، وتوحد بالكبرياء والكمال ، وجل عن الأشباه والأشكال ، ودلَّ على معرفته فأزال بفضله الإشكال ، وأذل من اعتزَّ بغيره غاية الإذلال الذى خلق الإنسان من صلصال ، وأتقن تركيب العظام والعروق والأوصال ، وخلق الجان من مارج من نار ، فتكبرَّ وصال ؛ فطرده وأبعده ، وحرمه الوصال ، وتفضل على المطيعين بلذة الإقبال .

أحمده على ما أولى من الإفضال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نفاد لملكه ولا زوال .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أيَّده بالمعجزات الظاهرة ، والآيات الباهرة وزَيَّنَهُ بأشرف الخصال ، ورفعه إلى المقام الأسنى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، وخلع عليه خلع الجمال ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، صلاة دائمة بالغدُوِّ والآصال ، وسلم تسليماً .

قال الله تعالى : « وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » وقال تعالى : « يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ وقال تعالى : « عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ » وقال تعالى : « وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ » وقال تعالى : مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ » وقال تعالى : « حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ » .

وأخرج الطيالسى ، والنسائى ، والبزار ، والبيهقى بسند حسن ، عن ابن عمرو قال : قال رجل : يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة ، أخلق يخلق . أم نسج ينسج ؟ فضحك بعض القوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ممَّ تضحكون ؟ من جاهل سأل عالماً ؟ ثم قال : بل تشقق عنها ثمر الجنة مرتين » .

وأخرج البيهقى عن أبى الخير مرثد بن عبد الله قال : « فى الجنة شجرة تنبت السندس ، منه يكون ثياب أهل الجنة » .

وأخرج ابن المبارك عن أبى هريرة قال : « إن دار المؤمن دُرَّة مجوفة ، فيها أربعون بيتا ، فى وسطها شجرة تنبت الحلل ، فيأخذ بأصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان »

وأخرج الشيخان عن حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافها ، فإنها لهم فى الدنيا ، ولكم فى الآخرة » .

وأخرج الشيخان عن عمر قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من لبس الحرير فى الدنيا ، لم يلبسه فى الآخرة » :

وأخرج ابن أبى حاتم ، وابن أبى الدنيا ، عن أمامة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انْطُلِقَ به إلى طوبى ، فتفتح له أكمامها ، فيأخذ من أى ذلك ، إن شاء أبيض ، وإن شاء أحمرَ ، وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود ، مثل شقائق النعمان ، وأرقّ ، وأحسن » .

وأخرج « مسلم » عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من يدخل الجنة ينعم فيها لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » .

وأخرج الترمذى ، والحاكم وصححه ، والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى : أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى « جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ » فقال : إن عليهم التيجان ، إن أدنى لؤلؤة منها ، لتضىء بين المشرق والمغرب .

وأخرج الطبرانى بسند حسن ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن أدنى أهل الجنة حلية عُدِلَتْ حليته بحلية أهل الدنيا جميعاً ، لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً » .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

وأخرج الإمام أحمد ، والترمذى وحسنه ، وابن حبان ، والبيهقى وابن أبى الدنيا ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى « وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ » قال : « ما بين الفراشين ، كما بين السماء والأرض » .

ولفظ الترمذى قال : « ارتفاعهما ، لَكَمَا بين السماء والأرض ، مسيرة خمسمائة سنة .

قال الترمذى : قال بعض أهل العلم فى تفسير معناه : إن الفرش فى الدرجات ، وبين الدرجات كما بين السماء والأرض .

وأخرج ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى ، عن ابن مسعود فى قوله تعالى : « بطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ » قال : أُخْبِرْتُمْ بالبطائن فكيف بالظهائر ؟!

وأخرج البيهقى عن مجاهد قال : الأرائك من لؤلؤ وياقوت .

وأخرج سعيد ابن منصور ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى من طريق مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله تعالى «عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ» قال : مرمولة بالذهب.

وأخرج الشيخان والترمذى ، عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الخيمة درة مجوفة ، طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون ، يطوف عليهم المؤمن » .

وأخرج ابن أبى الدنيا ، والبيهقى ، عن ابن عباس قال : « الخيمة درة مجوفة ، فرسخ ، فى فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب» .

﴿ فصل ﴾

قال : فى « حادى الأرواح » بعد سياق قوله تعالى : « يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ » الآية وقوله « عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ » قال جماعة من المفسرين : السندس مارق من الديباج ، والإستبرق ، ما غلظ منه .

وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ، ولـكن المراد الصفيق .

وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان ، الأخضر ، وألين ، الملابس ، الحرير.

فجمع لهم بين حسن منظر اللباس ، والتذاذ العين به ، وبين نعومته والتذاذ الجسم به .

وتأمل مادلت عليه لفظة « عاليهم » من كون ذلك اللباس ظاهراً ، بارزا ، يجمل ظواهرهم ، ليس بمنزلة الشعار الباطن ، بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمـال .

واختلف المفسرون ، هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم ، فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق ، أو للسادات الذين يطوف عليهم الولدان ، فيطوفون على ساداتهم ، وعلى السادات هذه الثياب ؟ .

وتأمل ، كيف جمع لهم بين نَوْعَيِ الزينة الظاهرة من اللباس والحلى ، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة . فجمل البواطن بالشراب الطهور ، والسواعد بالأساور ، والأبدان بثياب الحرير.

قال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد ابن رزق الله ، حدثنا زيد الحباب قال : حدثنى عتبة بن سعد قاضى الرى ، عن جعفر بن المغيرة ، عن شمر بن عطية ، عن كعب قال : إن الله عز وجل جعل ملـكا منذ يوم خلق يصوغ حلى أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة ، لو أن حلياً من حلى أهل الجنة أخرج ، لذهب بضوء شعاع الشمس ، فلا تسألوا بعد هذا عن حلى أهل الجنة .

حدثنا حسن ابن يحيى ابن كثير العنبرى ، حدثنا أبى عن أشعث ، عن الحسن قال : الحلى فى الجنة على الرجال أحسن منه على النساء .

حدثنا الحسن ابن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد ابن أبى حبيب ، عن داود بن عامر بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه عن جده ، عن النبى صلى الله

عليه وسلم قال : « لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع ضد أسواره[1] لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوءَ النجوم » انتهى .

ثم قال فيه أيضا : ومن ملابسهم التيجان على رؤوسهم .

ذكر البيهقى من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب، حدثنا هشام ابن سليمان ،عن عكرمةعن إسماعيل بن رافع،عن سعيد المقبرى وزيد ابن أسلم،عن أبىهريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ، ويُحِلُّ حلاله ، ويُحرِّمُ حرامه ، خلط بلحمه ودمه ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة ، فإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجا فقال :

يارب كل عامل يعمل فى الدنيا إلا فلانا كان يقوم بى آناء الليل والنهار ، فيحل حلالى ، ويحرم حرامى ، يقول : يارب ، فأعطه ؛ فيتوجه الله تاج الملك ، ويكسوه من حلة الكرامة ثم يقول : هل رضيت ؟ فيقول : يارب أرغب له فى أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ثم يقول له : هل رضيت ؟ فيقول : نعم يارب .

وذكر الإمام أحمد فى المسند ، من حديث أبى بريدة يرفعه: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة،وتركها حسرة،ولا تستطيعها البطلة». ثم سكت ساعة ثم قال: «تعلموا سورة البقرة،وآل عمران،فإنهما الزهراوان وإنهما يظللان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان ، أو فرقان من طير صواف ، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له : هل تعرفنى ؟ فيقول له : ما أعرفك فيقول له القرآن : أنا الذى أظمأتك فى الهواجر ، وأسهرت ليلك » .

وإن كل تاجر وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين ،

---

(١) قوله : اطلع ضد أسواره » هكذا فى الأصل ولعل المراد : اطلع ضوء سواره حتى يتناسب مع مابعده . اه مصححه ـ محمد زهرى النجار .

لا يقوم لهما الدنيا فيقولان : بما كسينا هذا ـ ؟ فيقول : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها ، فهو فى صعود ما دام يقرأ ، هذراً كان أو ترتيلا . « البطلة السحرة » و « الغيابة » ما أظل الإنسان فوقه :

يا فؤادى غلبتنى عصيانا فأطعنى فقد عصيت زمانا
يا فؤادى أما تَحِنُّ إلى طو بى إذا الريح حركت أغصانا
مثل الأوليا فى جنة الخلـــد إذا ما تقابلوا إخوانا
قـــد تعالوا على أسِرَّة دُرٍّ لا بسين الحرير والأرجوانا
وعليهم تيجانهم والأكاليـــل تباهى بحسنها التيجانا
ثم آبوا فاستقبلتهم حسان من بنات النعيم فقن الحسانا
بوجوه مثل المصابيح ما يعرفن إلا الظلال والأكنانا
فهم الدهر فى سرور عجيب ويزورون ربهم أحيانا

عباد الله ، هلموا إلى دار لا تموت سكانها ، ولا يخرب بنيانها ولا تهرم شبانها ، ولا يتغير حسنها ، هواؤها النسيم ،وماؤها التسنيم، يتقلب أهلها فى رحمة أرحم الراحمين ،ويتمتعون بالنظر إلى وجه الكريم . كل حين .

« دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

قال يزيد الرقاشى : أَمِنَ أهل الجنة الموت فطاب لهم العيش ، وأمنوا الأسقام ، فهنيئا لهم فى جوار الله بطول المقام (شعرا) :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

اللهم اجعلنا من أوليائك المقربين ، وانظمنا فى سلك حزبك المفلحين ، وآمنا من الفزع الأكبر يوم الدين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين . برحمتك ، ياأرحم الرحمين . آمين .

﴿ الباب الحادى عشر : فى صفة أزواج الجنة ﴾

الحمد لله الحليم الغفار ، العلىّ العظيم القهار ، الذى لا تخفى معرفته على من نظر فى بدائع مملكته بعين الاعتبار ، القدوس الصمد ، المتعالى عن مشابهة الأغيار . الواحد الأحد ، المنفرد بالخلق والاختيار ، الحىّ الذى تساوى فى علمه الجهر والإسرار ، الملك الذى يُوَلّى ويعزل ويأخذ ويمهل ، ويكشف ويسبل ، وربك يخلق مايشاء ويختار .

أحمده حمد معترف بتقصيره ، بذلة وانكسار .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة يفوز من شهد بها بالنعيم فى دار القرار .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذى اجتباه واصطفاه من صميم مضر بن نزار ، فأوضح صلى الله عليه وسلم ـ ببيانه ـ معالم الكفر ، وأنار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين الأخيار وسلم تسليما .

قال الله تعالى : « وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ » وقال تعالى : « وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ » وقال تعالى : « إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْراباً » وقال تعالى : « فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيَامِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ »

وأخرج الحاكم وصححه ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ » قال : من الحيض ، والغائط ، والنخامة ، والبصاق .

وأخرج الطبرانى ، والبيهقى عن ابن مسعود قال : « إن المرأة من الحور العين

ليرى مُخٌّ ساقها من وراء اللحم والعظم ، من تحت سبعين حلة ، كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء .

وأخرج البخارى عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غَدْوَةٌ فى سبيل الله أو رَوْحَةٌ ، خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطَّلعت إلى الأرض ، لأضاءت مابينهما ، ولَمَلأَت مابينهما ريحاً ، ولنصيفها على رأسها – يعنى الخمار – خير من الدنيا ومافيها » .

وأخرج أحمد وابن حبان ، والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ » قال : «ينظر إلى وجهه فى خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء مابين المشرق والمغرب ، وأنه يكون عليها سبعون ثوباً ، ينفذها بصره ، حتى يرى مُخّ ساقها من وراء ذلك » .

وأخرج ابن المبارك ، والبيهقى ، عن الحسن قال : «الْعُرُب» المعشقات لبعولتهن و « الأَتْراب » المستويات بسن واحد .

وأخرج مجاهد فى قوله تعالى « قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ » قال : على أزواجهن ، فلا يبغين غير أزواجهن وفى قوله تعالى : « مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ » قال : محبوسات فى الخيام لايبرحنه . و « الخيمة » لؤلؤة وفضة .

وأخرج عن عطاء فى قوله تعالى : « وَحُورٍ عِينٍ » قال : سوداء الحدقة ، عظيمة العين .

وأخرج سعيد بن منصور ، والبيهقى عن الشعبى فى قوله تعالى : « لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ » قال : هن نساء أهل الدنيا ، خلقهن الله فى الخلق الآخر ، كما قال تعالى : « إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً لم يطمثهن حين عُدْنَ فى الخلق الآخر إنسٌ قبلهم ولا جان .

وأخرج الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الأنصار فقالت : يارسول الله . اُدع الله أن يدخلنى الجنة . فقال : « إن الجنة لايدخلها عجوز » فذهب يُصَلّى . ثم رجع فقالت عائشة : لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة فقال : « إن ذلك كذلك ، إن الله إذا أدخلهن الجنة حَوَّلهن أبكاراً » .

وأخرج الطبرانى أيضاً عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الحور العين من الزعفران » .

وأخرج ابن المبارك عن زيد بن أسلم قال : إن الله لم يخلق الحور العين من تراب ، إنما خلقهن من مسك وكافور وزعفران .

وأخرج هناد ، والترمذى ، وابن حبان عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن المرأة من نساء أهل الجنة لَيُرَى بياض ساقها من وراء سبعين حلة ، حتى يرى مُخُّها ، وذلك بأن الله يقول : « كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَان » فأما الياقوت فإنه حجر ، لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرَأَيْتَهُ من ورائه » .

وأخرج ابن أبى الدنيا ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن حوراء بزقت فى بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها » .

وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال : لو أن امرأة من أهل الجنة بصقت فى سبعة أبحر ، لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل .

وأخرج أحمد ، وأبو يعلى بسند حسن ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرجل ليتكىء فى الجنة سبعين سنة ، قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأته فينظر وجهه فى خَدِّها أصفى من المرآة ، و إن أدنى لؤلؤة عليها تضىء مابين المشرق والمغرب ، فتسلم عايه ، فيرد عليها السلام ، و يسألها من أنت ؟ فتقول: أنا من المزيد ، و إنه ليكون عليها سبعين ثوبا ، فينفذها بصره ، حتى يرى مُخَّ

ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها التيجان ، إن أدنى لؤلؤة منها لتضىء مابين المشرق والمغرب .

وأخرج هنَّاد عن حيان بن أبى حبلة قال : إن نساء أهل الدنيا إذا أُدْخِلْنَ الجنة فُضِّلْنَ على الحور العين ، بأعمالهن فى الدنيا .

﴿ فصـــل ﴾

قال فى « حادى الأرواح » بعد سياق قوله تعالى : « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا : هٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » : فتأمل جلالة المبشِّر ومنزلته ، وصدقه ، وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة ، وقدِّر مابشرك به وضمنه لك على أسهل شىء عليك وأيسره .

وجمع سبحانه فى هذه البشارة ، بين نعيم البدن بالجنات ومافيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب بِقُرَّةِ العين ، بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه .

و « الأزواج » جمع « زوج » والمرأة زوج الرجل ، وهو زوجها . هـذا هو الأفصح .

و « المطهرة » التى طهرت من الحيض ، والبول ، والنفاس ، والغائط ، والمخاط ، والبصاق ، وكل قذر ، وكل أذى يكون من نساء الدنيا ، وطهر ـ مع ذلك ـ باطنها من الأخلاق السيئة ، والصفات المذمومة ، وطهر لسانها من الفحش والبذاءة ، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها ، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ . انتهى .

وقال أيضاً بعد سياق قوله تعالى : « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۞ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۞ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ » .

فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه ، واشتماله على الثمار والأنهار ، وحسن اللباس ، وكمال العشرة ، بمقابلة بعضهم بعضا ، وتمام اللذة بالحور العين ، ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة ، مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها ، وختام ذلك ، علمهم بأنهم لا يذوقون هناك موتاً .

و « الحور » جمع حوراء ؛ وهى المرأة الشابة الحسناء ، الجميلة البيضاء ، شديدة سواد الشعر .

وقال زيد بن أسلم : الحوراء التى يحار فيها الطرف ، و «عين» حسان الأعين .

وقال مجاهد : الحوراء التى يحار فيها الطرف ، من رِقَّةِ الجلد ، وصفاء اللون .

وقال الحسن : الحوراء : شديدة بياض العين ، شديدة سواد العين ، ولا تسمى المرأة حوراء حتى تكون مع حور عينها بيضاء لون الجسد .

و « العين » جمع عيناء ، وهى العظيمة العين من النساء ، والصحيح أن « الْعِينَ » اللاتى جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة .

قال مقاتل : « الْعِينُ » حسان الأعين . انتهى .

وقال أيضاً فى قوله تعالى « فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ » : الخيرات : جمع خيرة ، وهى مخففة من خَيِّرَة كَسَيِّدة ، ولَيِّنَة .

و « حِسَان » : جمع حسنة . فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم ، حسان الوجوه .

قال وكيع : حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي عبيدة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : لكل مسلم خيرة ، ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب ، يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة ، لم تكن قبل ذلك ، لا مرحات ، ولا زفرات ، ولا بخرات ، ولا سخرات ، ولا طاحات . انتهى (شعرا) :

لا يذكر الرمل إلا كلٌّ مُغْتَرِبٍ　　له بِذِى الرملِ أوطار وأوطان
تَهْفُو إلى الْبَانِ من قلبى نوازعُه　　وما بِىَ الْبَان بل من داره الْبَانُ

قيل : وعظ ذو النون المصرى يوماً ، فأتت إليه امرأة يقال لها « ريحانة » فقالت : يا مصرى ، صِفْ لى الجنة ، وما أعد الله فيها لأوليائه .

فقال : يا هٰذه ، إن فى الجنة مالا يحيط به علم عارف ، ولا يأتى عليه وصف واصف ، ولكن سأذكر لك بعض ما أعد الله لِوَلِىٍّ من أوليائه . ثم قال :

إن فى الجنة مَرْجاً أفْيَحَ من الفضة البيضاء ، فى وسط المرج قصر من الذهب الأصفر ، فى وسط القصر قبة من الياقوت الأحمر ، فى وسط القبة سرير من الذهب والجوهر ، يخرج من تحت السرير أربعة أنهار : نهر من ماء غير آسن ، ونهر من لبنٍ لم يتغير طعمه ، ونهر من عسلٍ مُصَفًّى ، ونهر من خمرٍ لذة للشاربين .

وعلى السرير فُرُشٌ من السندس والإستبرق ، وعلى الفرش جارية لو أطلعت معصمها فى ليلة مظلمة لأضاءت الدنيا على من فيها ، وإلى جانبها وَلِىُّ الله على صورة غلام أمرد ، أغيد ، على طول آدم ، وحسن يوسف ، وسن عيسى ، وخلق محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين .

فيا حسنه فى خلوته مع كَعُوبٍ لَعُوبٍ ، وقد هبَّت الأرياح ، وعاشت الأرواح ، وتضاعف الحبور ، ودام السرور ، واطمأن فى جوار الغفور الشكور .

فلما سمعت ريحانة ما وصفه ذو النون قالت : يا مصرىّ ، أبيت إلا قتلى ، ثم شهقت شهقة ، خرجت معها روحها ، رحمة الله تعالى عليها (شعرا) :

أبى الحب أن يخفى ، وكم قد كتمتهُ فأصبح عندى قد أناخَ وأطنبا
فلما سَرَى عَرْفُ النسيم بذكركم سَرَتْ نحوَه روحى إلى معهد الصبا

يا هذا ، كم أسرعتَ فيما يؤذيك فى دينك ، ودأبت ، كم كسرت إناء قلبك وما شعبت ، كم فاتك من خير وما اكتأبت . يا كاسب الخطايا ، بئسما كسبت تؤثر ما يفنى على ما يبقى ، ما أصبت ، تصبح تائباً وإذا أمسيت كذبت ، تمشى مع اليقين ، فإذا قاربت انقلبت ، تعمر مالا يبقى ، وما يبقى خربت ، تأنس بالدنيا وغرورها ، وقد جربت (شعرا)

دارٌ تسافر عنها فى غــدٍ سفراً فلا تَئُوب إذا سافرتَ من سفرك
تُضْحِى غداً سَمَراً للذاكرين كما كان الذين مضوا بالأمش من سمرك

فى بعض الآثار الإسرائيلية يقول الله تعالى :

يا ابن آدَم ما أنصفتنى ، أذكرك وتنساني ، وأدعوك إلىَّ فتَفِرَّ مِنِّى إلى غيرى ، وأُذْهِبُ عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا ، يا ابن آدم ما يكون اعتذارك غداً إذا جئتنى ؟ (شعرا)

يا واقفا يســأل القبور أَفِقْ فأهلك اليوم عنك قد شُغِلُوا
قد هالهم منكر وصاحبــه وخوف ما قدمــوا وما عملوا
رهائن للثرى على مــدر يســمع للدود بينهم زجل
سرى البلى فى جسومهم فجرت دماً وقيحاً وسالَتْ الْمُقَلُ
ينتظرون النشور إذ تقف الـأملاك والأنبياء والرســل
يوماً ترى الصحف فيه طائرَةً وكل قلب له من هوله وَجَلُ

قد دنَتِ الشمس من رؤوسهمُ والنـار قد برزت لهـا شعل
وأُزْلِفَتْ جنـــة النعيم فيـا طوبى لقـــوم بِرَبْعِها نزلوا
أكوابهم عَسْجَدٌ يُطَافُ بها والخمـــر والسلسبيل والعسل
والحور تلقــــاهم وقد رفعت عن الوجـــوه الاستار والكلل

(اللهم) عاملنا بفضلك ورحمتك ، ولا تَحْرِمْنَا من ولائم كرامتك ، ووَفِّقْنَا للإقبال عليكَ والاشتغال بخدمتك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الباب الثانى عشر ﴾

﴿ فى كثرة أزواج أهل الجنة والأعمال الموجبة لذلك ﴾

الحمد لله الذى نوَّرَ ـ بجميل هدايته ـ قلوب أهل السعادة ، وطَهَّرَ ـ بكريم ولايته ـ أفئدة الصادقين ، فأسكن فيها وداده ، وحرس سرائر المؤمنين ، فطرد عنها الشيطان وذاده ، ودعاها إلى ما سبق من عنايته ، فأقبلت مُنْقَادَه ، وفَّقَ من أراد إكرامه ، فألهمه رَشاده ، وخذل من شاء بحكم قهره ، فجعل حظه بعاده .

فسبحان من أعطى ومنع ، وخفض ورفع ، ووصل وقطع ، ومَهَّدَ لمن ارتضاه ، فأحسن مهاده .

أحمده على ما أولى من فضل وأفاده .

وأشهد أن لا إلَهَ إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تتكفل لمن أخلصها بالحسنى وزيادة .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذى أقام به منار الإسلام ورفع عماده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين استخلفهم الله تعالى على عباده ودينه ، وملكهم بلاده ، وأوضح بهم نهج التوحيد وأحكام العبادة ، وسلم تسليما .

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه . أنهم تذاكروا : الرجال أكثر أهل الجنة أم النساء ؟ فقال : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فى الجنة أحد إلا له زوجتان ؟ إنه ليرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة ما فيها عزب » .

وأخرج الترمذى وصححه ، عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يزوج العبد فى الجنة سبعين زوجة » قيل : يارسول الله ، أيطيقها ، قال : « يعطى قوة مائة » .

وأخرج ابن عساكر عن حاطب ابن أبى بلتعة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يزوج المؤمن فى الجنة ثنتين وسبعين زوجة ، سبعين من نسآء الآخرة وثنتين من نسآء الدنيا » .

وأخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد الخدرى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم ، واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء .

وأخرج أبو نعيم ، وأبو الشيخ عن أبى أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يزوج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر ، وثمانية آلاف أيِّم ، ومائة حوراء فيجتمعن فى كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان ، لم يسمع الخلائق بمثلهن :

نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ، طوبى لمن كان لنا وكُنَّا لَهُ » .

وأخرج الطبرانى عن أنس قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حدثنى جبريل قال : يدخل الرجل على الحوراء ، فتستقبله بالمعانقة والمصافحة » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فبأى بنان تعاطيه ، لو أن بعض بنانها بدا أَقَلبَ ضوؤء ضوءَ الشمس والقمر ، ولو أن طاقة من شعرها بدت ، لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها ، فبينما هو متكئ معها على أريكته إذْ أشرف عليه نور من فوقه فيظن أن الله قد أشرف على خلقه ، فإذا حوراء تناديه : ياولىَّ الله أمالنا فيك من دولة ؟ فيقول : من أنت يا هذه ؟ فتقول · أنامن اللواتى قال الله تعالى : « وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ » فيتنَحَّى عندها فإذا عندها من الكمال والجمال ما ليس مع الأولى .

فبينما هو متكئ معها على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه ، وإذا هى حوراء أخرى تناديه : ياولى الله : أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول : ومن أنت يا هذه ؟ فتقول : أنامن اللواتى قال الله تعالى « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ فلا يزال يتحول من زوجة إلى زوجة .

وأخرج أبو داود ، والترمذى وحسنه ، وابن ماجه ، عن معاذ بن أنس : أن النبى صلى الله عايه وسلم قال :« من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه ، دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحورشاء » .

وأخرج الأصبهانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ثلاثة من كان فيه واحدة منهن زوج من الحور العين : رجل اؤتمن على أمانة خفيفة شهية ، فأداها من مخافة الله : ورجل عفا عن قاتله ورجل قرأ قل هو الله أحد فى دبر كل صلاة .

وأخرج عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كَنْسُ المساجد مُهور الحور العين » .

وأخرج الطبرانى عن أبى قرصافة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إخراج القمامة من المسجد ، مهور الحور العين » .

وأخرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مهور الحور العين ، قبضات التمر ، وفلق الخبز » .

وأخرج عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قدر على طمع من طمع الدنيا فأداه ، ولو شاء لم يؤده ، زوجه الله من الحور العين ما شاء .

وأخرج أبو يعلى ، والطبرانى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول فى شهر رمضان ، وأن الحور لتزين من الحول إلى الحول فى شهر رمضان فإذا دخل شهر رمضان ، قالت الجنة : اللهم اجعل لى فى هذا الشهر من عبادك سكانا ، ويقلن الحور : اللهم اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجاً تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صان نفسه فى شهر رمضان ، لم يشرب فيه مسكراً و لم يقذف فيه مؤمناً ببهتان ولم يعمل فيه خطيئة ، زوجه الله فى كل ليلة مائة حوراء و بنى له قصرا فى الجنة من لؤلؤ و ياقوت وزبرجد ، لو أن الدنيا كلها جعلت فى ذلك القصر ، لكان منها كمربط عنز فى الدنيا .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن فى الجنة حوراء يقال لها العيناء ، إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف ، عن يمينها ، وعن يسارها كذلك ، وهى تقول : أين الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ؟ .

﴿ فصـــل ﴾

قال فى « اللطائف » : من ترك لله فى الدنيا طعاماً وشراباً مدة يسيرة ، عوضه الله عنه طعاماً وشراباً لا ينفد ، وأزواجاً لا يمتن أبداً .

فى الحديث : أن الحور تنادى فى شهر رمضان : هل من خاطب إلى الله ؟ فيزوجه ؛ مهور الحور طول التهجد .

رأى بعضهم حوراء فى منامه فقال لها : زوجينى نفسك ، قالت : اخطبنى إلى ربى وأمهرنى ، قال : ما مهرك ؟ قالت : طول التهجد .

نام أبو سليمان ليلة فأيقظته حوراء وقالت : يا أبا سليمان ، تنام وأنا أُرَبَّى لك فى الخدور من خمسمائة عام ؟

واشترى بعضهم حوراء بصداق ثلاثين ختمة ، فنام ليلة قبل تكميل الثلاثين ، فرآها فى منامه تقول هذا الشعر .

تخطب مثلى ، وعَنِّى تنام ونوم المحبين عنى حرام
لأنا خلقنا لكل امرىء كثير الصلاة براه الصيام

قال الحسن : تقول الحوراء لَوِلىِّ الله ، وهو متكىء معها على نهر العسل تعاطيه الكأس : إن الله نظر إليك فى يوم صائف بعيد ما بين الطرفين ، وأنت فى ظمأ هاجرة من جهد العطش ، فباهى بك الملائكة وقال : انظروا إلى عبدى ، ترك زوجته ، وشهوته من أجلى ، رغبة فيما عندى . اشهدوا أنى غفرت له ، فغفرلك يومئذ وزوجنيك .

كان بعض السلف يقوم الليل ، فنام ليلة فأتاه آت فى منامه فقال له : قم فصل ، ثم قال له : أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزانها قصرت فى الخطبة ، أما علمت أن المتهجد إذا قام إلى تهجده قالت الملائكة ، قام الخاطب إلى خطبته

يا خاطبَ الحوْرَاء فى خِدْرِها وطالباً ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانياً وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارْفضهم وحالف الوحدة فى وكرها
وصم إذا الليل بدا شطره نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها وقد بدت رمانتا صدرها

وهى تمشى بين أترابها وعقدها يشرق فى نحرها
لهان فى نفسك هذا الذى تراه فى دنياك من زهوها

قيل لابن مسعود رضى الله عنه : ما نستطيع قيام الليل . قال : قيدتكم خطايا كم .

وقال الفضل ابن عياض : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار ، فاعلم أنك محروم ، كبلتك خطيئتك .

قال بعض السلف : أذنبت ذنباً فحرمت به قيام الليل ستة أشهر .

ما تؤهل الملوك للخلوة بهم إلا من أخاص فى ودهم ومعاملتهم ؛ فأما من كان من أهل المخالفة ، فلا يؤهلونه .

قام بعض الصالحين فى ليلة باردة ، وعليه ثياب رثة ، فضربه البرد ، فبكى . فهتف به هاتف : أقمناك وأنمناهم ، ثم تبكى علينا ؟

الليل منهل يرده أهل الإرادة كلهم ، ويختلفون فيما يردون ويريدون « قَدْ عَلِمَ كلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ » .

فالمحب متلذذ بمناجاة محبوبه .

والخائف ، يتضرع لطلب العفو ويبكى على ذنوبه .

والراجى يلح فى سؤال مطلوبه .

والغافل المسكين أحسن الله عزاءه فى حرمانه وفوات نصيبه .

مرضت « رابعة مرة ، فصارت تصلى وردها بالنهار فعوفيت ، وقد ألفت ذلك وانقطع عنها قيام الليل .

فرأت ذات ليلة فى نومها ، كأنها أدخلت إلى روضة خضراء عظيمة ، وفتح لها فيها باب دار ، فسطع منها نور حتى كاد يخطف بصرها .

فخرج منها وصفاء ، كأن وجوههم اللؤلؤ ، بأيديهم مجامر .

فقالت لهم امرأة كانت مع رابعة : أين تريدون ؟ قالوا : نريد فلانا قتل شهيدا فنجمره .

فقالت لهم : أفلا تجمرون المرأة رابعة ، فنظروا إليها وقالوا : قد كان لها حظ فى ذلك فتركته .

فالتفتت تلك المرأة إلى رابعة ، وأنشدت هذا البيت ﴿ شعراً ﴾ .

صلاتك نور والعباد رقود ونومك ضد للصلاة عنيد

كان بعض العلماء يقوم السَّحَرَ ، فنام عن ذلك ليالى ، فرأى فى منامه رجلين وقفا عليه فقال أحدهما للآخر : هذا كان من المستغفرين بالأسحار فترك ذلك .

يا من كان له قلب فانقلب .

يا من كان له وقت مع الله فذهب ، قيام السحر يستوحش لك ، صيام النهار يسائل عنك ، ليالى الوصال تعاتبك على الهجر .

وروى عن بعض الصالحين أنه عَبَدَ الله تعالى أربعين سنة .

فلما كان فى بعض الليالى ، أخذته دَالَّةٌ على الله عز وجل فقال : إلٰهى أَرِنِى ما أعددتَ لى فى الجنة ، وأخبرنى بما أعددت لى من الحور الحسان .

فما استتم كلامه حتى انشق المحراب فخرجت منه حورية ، لو خرجت إلى أهل الدنيا لفتنتهم .

فقال لها : إنسية أنت ؟ فأنشأت تقول :

شكَوْتَ إلى المولى وقد علم الشكوى وأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى
وأرسلنى أنْسِى إليك وإننى أناجيك طول الليل لو تسمع النَّجْوَى

فقال : يا جارية لمن أنت ؟ قالت : أنا لك ، فقال : كم لى مثلك ؟

قالت : مائة حورية ، ولكل حورية مائة خادمة ، ولكل خادمة مائة وصيفة ، ولكل وصيفة مائة قهرمانة .

ففرح وقال : يا حورية ، هل أُعْطِى أحد أكثر منى ؟

قالت : يا مسكين عطاؤك عطاء البطالين ، الذين يقولون : أستغفر الله ، فيغفر لهم.

ثم أنشأت تقول :

وله خصائص مُصْطَفَوْنَ بحبه　　اختارهم فى سالف الأزمان
اختارهم من قبل فِطْرَةِ خلقه　　فَهُمُ ودائِعُ حِكْمَةٍ وبيان

اللهم هَبْ لنا ، ما وهبت لعبادك الأخيار ، وانظمنا فى سلك المقربين والأبرار ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، آمين .

﴿ الباب الثالث عشر : فى نكاح أهل الجنة والتذاذهم بذلك ﴾

الحمد لله الذى تفرد فى أزليته بعز كبريائه ، وتوحَّد فى صمديته بدوام بقائه ، ونوَّر بمعرفته قلوب أوليائه ، وطيَّب أسرار القاصدين بطيب ثنائه ، وسكَّن خوف الخائفين بحسن رجائه ، ونعَّم أرواح المحبين فى رياض معانى أسمائه ، وأسبغ على الكافة جزيل عطائه .

أحمده حمد معترف بالعجز عن عد آلائه .

وأشهد أن لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تضمن الحسنى لقائلها يوم لقائه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خاتم أنبيائه ، وسيد أصفيائه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وخلفائه ، وعلى من اقتفى أثرهم إلى يوم القيامة ففاز باقتفائه ، صلاة دائمة ، ما درَّ وابل فاهتز من الروض معاطف أرجائه ، وسلم تسليما .

قال الله تعالى : « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ » .

وأخرج أبو يعلى ، والطبرانى ، والبيهقى ، عن أبى أمامة : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يتناكح أهل الجنة ؟ فقال : « دحاماً دحاماً ، لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّة » .

وأخرج الترمذى ، والبيهقى ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة مائة فى الجماع » .

وأخرج الطبرانى ، والبزار بسند صحيح ، عن أبى هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، هل نصل إلى نسائنا فى الجنة ؟ فقال : « إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء » .

وأخرج البزار ، والطبرانى ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم ، عادوا أبكاراً » .

وأخرج الطبرانى ، عن أبى أمامة قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يتناكح أهل الجنة ؟ فقال : « نعم ، بِذَكَرٍ لا يَمَلُّ ، وشهوة لا تنقطع دحما ، دحما » .

وأخرج ابن وهب ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قال : أَنَطأُ فى الجنة ؟ قال : « نعم ، والذى نفسى بيده ، دحماً دحماً ، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً » .

وأخرج الطبرانى وغيره ، من حديث لقيط بن عامر ، أنه قال : يا رسول الله ، على ما نطلع من الجنة ؟ قال : « على أنهار من عسل مُصَفًّى ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من كأس ، ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون ، وخير من مثله ، وأزواج مطهرة » .

قلت : يارسول الله ، ولنا فيها أزواج مصلحات ؟ قال : « الصالحات للصالحين ، يلذوا بهن مثل لذاتكم فى الدنيا ، وتلذذ بكم ، غير أن لا توالد » .

وأخرج الترمذى وحسنه ، والبيهقى ، وأبو الشيخ ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة ، كان حمله ووضعه ، وسِنُّه ، فى ساعة كما يشتهى » .

قال الترمذى : اختلف أهل العلم فى هذا .

فقال بعضهم : فى الجنة جماع ، ولا يكون ولد ، هكذا يروى عن طاوس ، ومجاهد ، والنخعى .

قال إسحاق بن إبراهيم فى هذا الحديث : إذا اشتهى ، ولكن فى الحديث لا يشتهى .

وكذا روى فى حديث لقيط : إن أهل الجنة لا يكون لهم ولد . انتهى .

وقال جماعة : بل فيها الولد إذا اشتهاه الإنسان . ورجحه الأستاذ أبو سهل الصعلوكى .

قال الجلال السيوطى فى « البدور السافرة » بعد نقل ذلك : قلت ، ويؤيده أن أول حديث أبى سعيد عند هناد فى الزهد « قلنا : يا رسول الله ، إن الولد من قرة العين ، وتمام السرور ، فهل يولد لأهل الجنة ؟ فقال : « إذا اشتهى » . إلى آخره .

وأخرج الأصبهانى فى الترغيب ، عن أبى سعيد الخدرى ولم يرفعه ، قال : إن الرجل من أهل الجنة يتمنى الولد فيكون حمله ورضاعه وفطامه وشبابه ، فى ساعة واحدة .

وأخرجه البيهقى مرفوعا بلفظ : « إن الرجل ليشتهى الولد فى الجنة ، فيكون » إلى آخره .

وأخرجه الحاكم فى التاريخ ، والبيهقى بلفظ : « إن الرجل من أهل الجنة ، ليولد له الولد كما يشتهى ، فيكون حمله وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة » .

قال : ولا ينافى ذلك حديث لقيط السابق ، وفيه « غير أن لا توالد » لأن المنفى ترتب الولادة على الجماع غالبا ، كما هو فى الدنيا .

والمثبت ــ هنا ــ حصول الولد عند اشتهائه ، كما يحصل الزرع عند اشتهائه ، ولا زرع فى الجنة ، فى سائر الأوقات .

وقد ثبت فيما تقدم أن الله تعالى ينشىء للجنة خلقا ، يسكنهم فضاها ، فلا مانع حينئذ من إنشاء ولد بين أهلها . انتهى .

﴿ فصــــل ﴾

قال فى « حادى الأرواح » : وقال سعيد بن منصور : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة فى قوله تعالى « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ » قال : فى افتضاض الأبكار .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا أبو الربيع الزهرانى ، ومحمد بن حميد ، قال : حدثنا يعقوب بن عبيد الله ، حدثنا حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، عن شقيق ابن سلمة ، عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعــالى « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ » قال : شغلهم افتضاض العذارى .

وقال مقاتل : شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار ، فلا يذكرونهم ، ولا يهتمون لهم .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا فضل بن عبد الوهاب ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سليمان التميمى ، عن أبى عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « فِي شُغُــلٍ فَاكِهُونَ » قال : فى افتضاض العذارى .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : أن شهوته لتجرى فى جسدها سبعين عاما ، تجد اللذة ،

ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون للتطهير ، ولا ضعف ولا انحلال قوة ، بل وَطْؤُهُمْ وَطْء التذاذ ونعيم ، لا آفة فيه بوجه من الوجوه .

وأكمل الناس فيه ، أَصْوَنُهُمْ لنفسه فى هذه الدار عن الحرام .

فكما أن من شرب الخمر فى الدنيا ، لم يشربها فى الآخرة ، ومن لبس الحرير فى الدنيا ، لم يلبسه فى الآخرة ، ومن أكل فى صحاف الذهب والفضة ، لم يأكل فيها فى الآخرة ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها فى هذه الدار حُرِمَهَا هناك ، كما نعى سبحانه وتعالى على من أذهب طيباته فى الدنيا واستمتع بها .

ولهذا كان الصحابة ، ومن تبعهم ، يخافون من ذلك أشد الخوف .

وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله : أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم . فقال : ماهذا ؟ قال : لحم اشتريته لأهلى بدرهم .

فقال : أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً اشتراه ؟ أما سمعت الله تعالى يقول : «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا » ؟

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا جرير ابن حازم قال : حدثنا الحسن قال : قدم وفد أهل البصرة مع أبى موسى على عمر ، فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة ، ربما وافقناها مأدومة بالسمن ، وربما وافقناها مأدومة بالزيت ، وربما وافقناها مأدومة باللبن ، وربما وافقنا القديد اليابسة قد دُقَّتْ ثم أُغْلِيَ بها ، وربما وافقناها مأدومة باللحم الغريض ، وهو قليل .

فقال ذات يوم : إنى — والله — قد أرى تعذيركم وكراهتكم لطعامى ، إنى — والله — لو شئت لَكُنْتُ من أَلْيَنِكُمْ طعاماً وأَرَقِّكُمْ عَيْشاً ، ولكن سمعت الله تعالى عيَّر قوماً بأمر فعلوه فقال : « أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا » فمن ترك اللذة المحرمة لله ، استوفاها يوم القيامة ، أكمل مايكون ، ومن استوفاها هاهنا

حُرِمهَا هناك ، أو نقص كمالها ، فلا يجعل الله لذة من أوضع فى معاصيه ومحارمه ، كلذة من ترك شهوته لله أبدا .

مرض الْحُبُّ شفاء فى الهوى　　كلما أكربنى أطربنى
فبقائى فى فنائى فيكم　　وسرورى منكم فى حَزَنى
وشريتم بوصالٍ مهجتى　　حيث بِعْنَا لاقتضاء الثَّمَنِ
وإذا البلوى أفادت قربكم　　فِمَنَ النعمى دَوَامُ المِحَن

واعلم أن الجنة التى سمعت وصفها ، محفوفة بالمكاره ، فمتى أردتها فاصبر على ماتكره ، لعلك تنال ماتحب .

غزا قوم فى سبيل الله فلما صافُّوا عدوهم واقتتلوا رأى كل واحد منهم زوجته من الحور وقد فتحت باباً من السماء وهى تستدعى صاحبها إليها وتحثُّه على القتال ، فقتلوا كلهم إلا واحداً ، وكان كلما قتل واحد ، أغلق الباب ، وغابت المرأة منه .

فأقبل آخرهم فأغلقت تلك المرأة الباب الباقى ، وقالت : مافاتك ياشقى ؟ !

فكان يبكى على حاله إلى أن مات ، ولكن أورثه ذلك طول الاجتهاد والحزن والأسف (شعرا) :

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه　　وإن كان من ليلى على الهجر طاويا

واعلم أن جمهور الخلق ، همهم الجنة ، ويندر من الناس من يعمل شوقاً إلى رؤية الله عز وجل ومحبة له ، أولئك الكاملون الأقلون عدداً ، الأعظمون قدراً .

روى عن أبى نعيم الحافظ رحمه الله تعالى قال : قال لى ميسرة الخادم رضى الله عنه : غزونا فى بعض الغزوات ، فإذا فَتًى إلى جانبى مُقنَّع بالحديد ، فحمل على

الميمنة حتى ثناها ، ثم حمل على الميسرة حتى ثناها ، ثم حمل على القلب حتى ثناه ، ثم أنشأ يقول (شعراً) :

أحسن بمولاك سعيدُ ظنًّا ‏ ‏ ‏ ‏ هــذا الذى كنت له تمنَّى
تَنَحِّ ياحورَ الجنان عنَّا ‏ ‏ ‏ ‏ مالكِ قاتلنـا ولا قُتِلْنَا
لـكن إلى سَيدكُنَّ اشتقْنَا ‏ ‏ ‏ ‏ قد عـلم السر وما أعلنَّا

قال : فحمل فقاتل فقتل منهم عدداً ، ثم رجع إلى مصافِّه ، فتكالب عليه العدو فإذا هو قد حمل على الناس وأنشأ يقول (شعراً) :

قد كنت أرجو ، ورجائى لم يخب ‏ ‏ ‏ ‏ أن لايضيع اليوم كَدِّى والطلب
يامن مـلا تلك القصور باللعب ‏ ‏ ‏ ‏ لولاك ماطابت ولا طاب الطرب

قال : فحمل فقتل منهم عدداً ، ثم رجع إلى مصافِّه ، فتكالب عليه العدو ، فحمل الثالثة ، ثم أنشأ يقول (شعراً) :

يا كعبة الخلدِ قِفِى ثم اسمعى ‏ ‏ ‏ ‏ مالك قاتلنا فَـكُفِّى وارجعى
ثم ارجعى إلى الجنان واسرعى ‏ ‏ ‏ ‏ لاتطمعى لاتطمعى لاتطمعى

قال: ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه .

ومر عيسى عليه السلام بثلاثة نفر قد نَحِلَتْ أجسامهم ، وتغيَّرتْ ألوانهم وقال : ماالذى بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا : الخوف من النار . قال : حق على الله أن يؤمِّن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين ، فإذا هم أشد نُحُولاً وتغيُّراً ، فقال : ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا نحب الله تعالى :

فقال : أنتم المقربون ، أنتم المقربون (شعراً) :

لاتخـدعن فللمحب دلائل ‏ ‏ ‏ ‏ ولديه من نحو الحبيب رسائل
منهـا تنعمه بِمُرِّ بلائه ‏ ‏ ‏ ‏ وسروره فى كل ما هو فاعل
فالمنع منـه عطية مقبولة ‏ ‏ ‏ ‏ والفقر إكرام وَبِرٌّ عاجل
ومن الدلائل أن ترى متبسما ‏ ‏ ‏ ‏ والقلب فيه من المحب دلائل

وقال بعض إخوان « معروف » له : أخبرنا ، ياأبا محفوظ ، أى شىء أهاجك إلى العبادة والانقطاع من الخلق ؟ فسكت ، فقال له : ذكر الموت ؟ فقال : وأى شىء ذكر الموت ؟ قال ذكر القبر والبرزخ ؟ قال : وأى شىء القبر ؟ قال : خوف النار ورجاء الجنة ؟ قال : وأى شىء هذا ؟ إن ملكا هذا كله بيدهِ إنْ أحب ، أنساك جميع ذلك ، وإن كان بينك وبينه معرفة ، كفاك جميع هذا .

وقالت رابعة العدوية : ماعبدته خوفا من ناره ، ولا حُبًّا لجنته ، فأكون كأسير السوء ، بل عبدته حُبًّا له ، وشوقا إليه .

وقال يوسف بن الحسين : كنت قاعداً بين يدى ذى النون ، وحوله ناس ، وهو يتكلم عليهم والناس يبكون ، وشابٌّ يضحك .

فقال له ذو النون : مالك أيها الشاب ؟ الناس يبكون وأنت تضحك ؟ فأنشد يقول (شعراً) :

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظاً جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيحظوا ... برياض عيونها سلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار رَأْىٌ ... أنا لا أبتغى بحبى بديلا

قيل له : فإن طردك فماذا تقول ؟ فأنشد (شعراً) :

فإذا لم أجد من الحِبِّ وصلا ... رمت فى النار منزلا ومقيلا
ثم أزعجت أهلها ببكائى ... بكرة فى عراصها وأصيلا
معشر المسلمين نُوحُوا لأجلى ... أنا عبدٌ أحببت مولًى جليلا
لم أكن بالذى ادَّعيتُ مُحِقًّا ... فجزانى به العذاب الطويلا

اللهم اسلك بنا سبيل عبادك الأخيار ، ووفقنا لطاعتك ، وألحقنا بالصالحين الأبرار ، واختم لنا بخيرمنك ، يارحيم ياغفار ، واغفر لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين . برحمتك ياأرحم الراحمين .

﴿ الباب الرابع عشر : فى ذكر سماع أهل الجنة وغناء الحور العين ﴾

الحمد لله الذى تفرد بأوصاف عظمته وكماله ، وتقدَّس بعز كبريائه وجلاله ، وتوحَّد بالخلق والإبداع ، فلا مشارك له فى شىء من أفعاله ، وعَمَّ كل مخلوق بجزيل فضله ونواله ، وخص المؤمنين بتوحيده فضلا و إنعاما .

أحمده على ما أسبغ من جزيل العطا .

وأشهد أن لا إله الله وحده لاشريك له رب الأرض والسماء .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأتقياء ، صلاة تزيدهم بها شرفا وعزاً ، وتقريباً و إكراما ، وسلم تسليما .

قال الله تعالى : « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمِئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ » .

وأخرج البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « إن فى الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات ، يُغَنِّينَ بأحسن أصوات يسمعها الخلائق ، حتى مايرون أن فى الجنة لذة مثلها .

قيل : ياأبا هريرة ، وماذاك الغناء ؟ قال : التسبيح ، والتحميد ، والتقديس ، وثناء على الرب .

وأخرج الطبرانى ، والبيهقى ، عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يدخل الجنة ، إلا و يجلس عند رأسه وعند رجليه ، ثنتان من الحور العين يُغَنِّيَانِ بأحسن صوت سمعه الإنس والجن ، وليس بمزمار الشيطان ، ولكن بتحميد الله وتقديسه .

وأخرج الطبرانى بسند صحيح ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله عليه وسلم : « إن أزواج أهل الجنة لَيُغَنِّينَ أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط :

إن مما يغنين به : نحن الخيرات الحسان . أزواج قوم كرام . ينظرون بقرة أعيان ، وإن مما يغنين به : نحن الخالدات فلا نمتنه ، نحن الآمنات فلا نخفنه ، نحن المقيمات فلا نظعنه .

وأخرج الترمذى عن علىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة لمجتمعاً من الحور العين ، يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها ، يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكُنّا له .

وأخرج أبو نعيم فى صفة أهل الجنة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فى الجنة شجرة ، جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ ، فتهب لها ريح فتصطفق ، فما سمع السامعون بصوت شىء قط ألذ منه » .

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعى فى قوله تعالى : «فى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ» قال : هو السماع . إذا أراد أهل الجنة أن يطربوا ، أوحى الله إلى رياح يقال لها « المفافة » فدخلت فى آجام قصب اللؤلؤ الرطب ، فحركته ، فضرب بعضه بعضا ، فتطرب الجنة ، فإذا طربت ، لم يبق فى الجنة شجرة إلا وردّت .

وأخرج الأصبهانى عن أبى هريرة قال : قال رجل : يارسول الله ، هل فى الجنة سماع ، فإنى أحب السماع ؟ قال : « نعم ، والذى نفسى بيده ، إن الله ليُوحِى إلى شجر الجنة : أن أسمعى عبادى الذين شغلوا أنفسهم عن المعازف والمزامير بذكرى ، فتسمعهم بأصواتٍ ماسمع الخلائق بمثلها قط ، بالتسبيح والتقديس » .

وأخرج ابن وهب عن سعيد بن أبى أيوب قال : قال رجل من قريش لابن شهاب : هل فى الجنة سماع فإنه حبب إلىّ السماع ؟ فقال : إى — والذى نفس ابن شهاب بيده — إن فى الجنة لشجرا حمله اللؤلؤ والزبرجد ، تحته جوار ناهدات

يَتَغَنَّيْن ، بالقرآن ، يَقُلْنَ : نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت . فإذا سمع الشجر ذلك ، صفَّقَ بعضه بعضا ، فأَجَبْنَ الجوارى ، فلا يدرى أصوات الجوارى أحسن أم أصوات الشجر ؟

فصــــــل

قال فى « حادى الأرواح » بعد سياق قوله تعالى « فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ » : قال محمد بن جرير : حدثنى محمد بن موسى الجرشى ، حدثنا عامر بن سياف قال : سألت يحيى بن أبى كثير عن قوله عز وجل « فهم فى روضة يحبرون » قال : الحبرة اللذة والسماع .

حدثنا عبد الله بن محمد الفريابى ، حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعى ، عن يحيى ابن أبى كثير فى قوله «يحبرون» قال : السماع فى الجنة .

ولا يخالف هذا قول ابن عباس : « يكرمون » وقول مجاهد وقتادة «ينعمون » فلذة الأذن بالسماع والنعيم .

وذكر نحو ماتقدم من الأحاديث ثم قال : ولهم سماع أعلى من هذا .

قال ابن أبى الدنيا : حدثنى دهيم بن الفضل القرشى ، حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعى قال : بلغنى أنه ليس من خلق الله أحسن من صوت إسرافيل ، فيأمره الله تبارك وتعالى ، فيأخذ فى السماع ، فما يبقى مَلَكٌ فى السموات إلا قطع صلاته ، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله عز وجل : وعزتى ، لو يعلم العباد قدر عظمتى ، ماعبدوا غيرى .

حدثنى داود ابن عمر الضبى ، حدثنا عبــــد الله ابن المبارك ، عن مالك ابن أنس عن محمد ابن المنكدر قال : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين الذين

كانوا ينزهون أسماعَهم وأنفسَهم عن مجالِس اللّهْوِ ومزامير الشيطانِ ؟ أسكنوهم رياض المسك .

ثم يقولُ الملائكةِ : أسمعوهم تمجيدى وتحميدى .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد بنُ الحسين ، حدثنى عبدُ الله بنُ أبى بكر ، حدثنا جعفر ابنُ سليمانَ عن مالك بن دينار ، فى قولهِ عز وجل « وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ » قال :

إذا كان يومُ القيامة أُمِرَ بمنبرٍ رفيعٍ ، فوُضِعَ فى الجنةِ ، ثم نودِىَ : يا داودُ ، مَجِّدْنِى بذلك الصوتِ الحسنِ الرخيمِ ، الذى كنت تمجدنى به فى دارِ الدنيا . قال : فيستفرغُ صوتُ داودَ نعيمَ أهلِ الجنان فذلك قولُه : « وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ » .

وذكر حمادُ بن سلمةَ ، عن ثابتٍ البنانى ، وحجاج الأسودِ عن شهرِ بنِ حوشب قال : إن اللهَ جل ثناؤه يقول لملائكته : « إن عبادى كانوا يحبون الصوتَ الحسنَ فى الدنيا فيَدَعُونَه من أجلى ، فأسمعوا عبادى » فيأخذوا بأصواتٍ ، من تهليلٍ ، وتسبيحٍ ، وتكبيرٍ ، لم يسمعوا بمثله قط ؟ انتهى .

ثم قال : ولهم سماعٌ أعلى من هذا ، يضمحلُ دونَه كُل سماعٍ ، وذلك حين يسمعونَ كلامَ الرب جل جلالُه وخطابَه ، وسلامَه عليهم ، ومحاضرتَه لهم ، ويَقْرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك .

وسيمر بك أيها السُّنى من الأحاديث الصحاحِ والحسانِ فى ذلك ، ما هو من أحب سماعٍ لك فى الدنيا وألذه لِأُذُنِكَ ، وأقرّه لعينكَ إذْ ليسَ فى الجنة لذةٌ أعظمُ من النظرِ إلى وجه الربِ تعالى ، وسماعُ كلامه منه ، ولا يعطى أهلُ الجنة شيئاً أحبُ إليهم من ذلك .

وقد ذكر أبو الشيخ ، عن صالح بن حبان ، عن عبد الله بن بريدة قال : إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ عليهم القرآن ، وقد

جلس كل امرىء منهم مجلسه الذى هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد ، فلم ، تقرَّ أعينهم بشىء ، ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين ، قريرةً أعينهم إلى مثلها من الغد . انتهى (شعرا) :

هَبَّتْ لنا وبُرُودُ الليــلِ أشمال ريحٌ لها من جنوب الوصل أذيال

مريضة فى حواشى مرطها بَلَلٌ تهدى لـكل مريض منه إبلال

مع جمرة لسواء القلب محرقة يا لائمى ثم قل لى : كيف أحتال

حدثت عن مُنْحَنَى الوادى وساكنه كرِّرْ حديثك ، لاضاقت بك الحال

كان أبو عبيدة الخواص قد غلب عليه الشوق والقلق ، حتى كان يضرب على صدره فى الطرق ، ويقول : واشوقاه إلى من يرانى ولا أراه .

قال أبو الدرداء : أحب الموت اشتياقا إلى ربى .

وقال أبو عنبسة الخولانى : كان من قبلكم لقاء الله أحب إليهم من الشهد .

وقال بعض العارفين : طالت علىَّ الأيام والليالى بالشوق إلى لقاء الله .

وقال بعضهم : طال شوقى إليك فعجِّل قُدُومِى عليك .

وقال بعضهم : لا تطيب نفسى بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله فإننى أشتاق حينئذ إلى الموت تشوُّقَ الظمآن الشديد ظمؤه فى اليوم الحارِّ الشديد حَرُّه إلى الماء البارد الشديد برده .

قال ابن السماك رحمه الله تعالى : كنت جالساً عند باب دارى إذ جاءنى رجل من بعض إخوانى فقال : يا أبا بكر لى ولد من المبرزين فى العبادة والمخلصين فى الإرادة ، يقوم الليل ويصوم النهار ، ومع ذلك لا يفتر عن البكاء ، وقد أضرَّ ذلك ببدنه ، وأنا عليه خائف أن يهلك ، فأحب أن تسأله الرفق بنفسه ، فلعله أن ينام فى الليل نومة واحدة ، يقوى بها على عبادة الله عز وجل .

قال ابن السماك ، فقلت : نعم إن شاء الله تعالى ، فبينما هو يخاطبنى إذ طلع علينا شاب ، له نور كالبدر ، ووجهه قد علاه اصفرار ، ناحل الجسم ، فقال : يا أبا بكر . هذا ولدى .

فقلت له : حبيبى ، إن الله عز وجل قد فرض عليك طاعة أبيك ، ونهاك عن معصيته ، وقد سألنى أن أسألك حاجة .

قال : وما هى أيها الشيخ ؟ قال : قلت تفطر فى الجمعة ، وتنام فى الليل نومة فإنك تقوى بذلك على عبادة الله عز وجل .

فقال : أما والله ، لقد طلب منى التقصير فى العمل قبل حلول الأجل .

أيها الأستاذ ، إنى بايعت إخواناً لى على السباق ، فأخشى أن تعرض أعمالى وأعمالهم فيوجد فى أعمالى دونهم تقصير ، فياسوء حالى ، إن بادرنى أجلى قبل أن أبلغ ما بلغوه .

يا أبا بكر لو رأيت إخوانى الذين بايعتهم وقد تجافت جنوبهم عن المضاجع ، فركبوا رواحل الظلام ، وقطعوا عليها الليل والناس نيام ، قد وصلوا الكلال بالكلال ، اشتياقا إلى ذى الجلال ، أفتشير علىَّ — أيها الشيخ — بالتقصير ؟ والله لأجتهدن ثم لأجتهدن ، حتى ألحق بهم (شعرا) :

وحياةِ من ملكت يداه قيادى ... لأخالفن على الهوى حُسَّادِى
ولأعْصِيَنَّ عواذلى فى حبه ... ولأهجرن لذاذتى ورُقَادِى
ولأجعلن نزاهتى فيه البكا ... ولأكحلن محاجرى بِسُهَادِى
ولأحفرن لِسِّره ضِمْنَ الحشا ... قبراً ولم يعلم بذاك فؤادى

يا هذا ، أين أنت من قوم نصبوا الآخرة بَين أعينهم ، فنصبوا ، فوفر النصب نصيبهم « إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ » .

عرف القوم ما طلبوا ، فَجَدُّوا ، ورغبوا فلم يرضَوْا لأنفسهم ما رضينا ، ولا اختاروا لها ما هوينا طلبوا أعلى المقامات وسارعوا إلى على الدرجات (شعرا) .

يا قومنا هذى الفضائل جمة　　فتخيروا قبل الندامة واسبقوا

إن مَسَّكم ظمأ يقول دليلكم　　لاذنب لى قدقلت للقوم استقوا

لله در العارفين بزمانهم ، إذ باعوا ما شانهم بإصلاح شأنهم ما أقل ما تعبوا ، وما أيسر ما نصبوا ، فما زالوا حتى نالوا ما طلبوا ، شمروا عن سُوقِ الجد فى سوق العزائم ، فصبحوا منزل النجاة وأنت فى اللهو نائم .

متى تسلك طريقهم ياذا المآثم ، متى تندب تفريطك ندب المآتم ؟ (شعرا) .

وما هى إلا ليلة بعد ليلة　　ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر

مطايا يقربن الجديد إلى البلى　　ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر

اللهم اجعلنا بطاعتك عاملين ، وعلى ما يرضيك مُقْبِلين ، وألبسنا ملابس الصادقين ، ولا تحرمنا ـ بذنوبنا ـ يا أرحم الراحمين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين . آمين .

﴿ الباب الخامس عشر ﴾

﴿ فى ذكر خيل الجنة ، وطيرها ، ومراكب أهلها ونعمهم وملكهم ﴾

الحمد لله الذى خلق كل شىء فقدره ، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره ، وأثبت فى أم الكتاب ، ما محاه وسطره ، فلا مؤخر لما قدمه ، ولا مقدم لما أخَّره ، المتفرد بالقدم والبقاء ، والعز والكبرياء ، فالعقول عن إدراكه والألسن عن ثنائه قاصرة مقصرة ، القدوس الصمد ، الواحد الأحد ، فلا مشارك له فيما أبدعه وفطره ، الحىُّ العليم القدير ، السميع البصير اللطيف الخبير ، فلا يخفى عليه ما أسره العبد وأضمره .

أحمده على ما أولى من فضل ويسره .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحد لا شريك له ، إلهٌ اطَّلع على عمل عبده وستره ، وقبل توبة العاصى فعفا عن ذنبه وغفره .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذى أوضح سبيل الهدى ونوَّره ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام البررة ، صلاة يبلغهم بها شرف الدنيا والآخرة ، وسلم تسليماً .

قال الله تعالى : « وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً »

وأخرج البيهقى من طريق عكرمة ، عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ، ثم تلا « وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيما وملكا كبيراً ؟ »

وأخرج عن مجاهد فى الآية قال : هو استيذان الملائكة عليهم ، لا تدخل عليهم الا بإذن .

وأخرج عن أبى سليمان فى الآية . قال : الملك الكبير : أن رسول رب العزة يأتيه بالتُّحَف واللطف ، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه ، فيقول للحاجب : استأذن على وَلِيِّ الله ، فإنى لست أَصِلُ إليه ، فيعلم ذلك الحاجب حاجبا آخر ، وحاجب بعد حاجب ، فيأذن له ، ومن داره إلى دار السلام ، باب يدخل منه على ربه إذا شاء ، بلا إذن .

وأخرج ابن أبى وهب عن الحسن البصرى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة ، الذى يركب فى ألف ألف من خدمه ، من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر ؛ لها أجنحة من ذهب «وإذَا رأيْتَ ثَمَّ رأيتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيراً » .

وأخرج الطبرانى والبيهقى بسند جيد ، عن عبد الرحمن بن ساعدة قال : كنت أحب الخيل ، فقلت : يا رسول الله ، هل فى الجنة خيل ؟

فقال : « إن أدخلك الله الجنة كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان يطير بك حيث شئت » .

وأخرج الترمذى والبيهقى عن بريدة : أن رجلا قال : يا رسول الله : هل فى الجنة خيل ؟ قال : « إن أدخلك الله الجنة فلا تشأ أن تركب على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك فى الجنة حيث شئت إلا ركبت » .

فقال آخر : يارسول الله ، هل فى الجنة إبل ؟ فلم يقل له مثل الذى قال لصاحبه قال : « إن يُدْخِلْكَ الله الجنة يَكُنْ لك فيها ما اشتهت نفسك ولذّتْ عَيْنُك » .

وأخرج ابن المبارك ، وابن أبى الدنيا عن شفى ابن مانع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنُّجُبُ ، وأنهم يُؤْتَوْنَ يوم القيامة بخيل مُسْرَجَة مُلْجَمة ، لا تَرُوثُ ولا تبول ، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله تعالى » .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن الحسن بن علىّ عن علىٍّ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن فى الجنة لَشَجَرةً يخرج من أعلاها حُلَلٌ ، ومن أسفلها خيل من ذهب مسروجة ملجمة من درٍّ وياقوت ، لا تروث ولا تبول ، لها أجنحة ، خَطْوُها مدّ البصر ، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا ، فيقول الذين أسفل منهم درجة : يارب ، بِمَ بلغ عبادك هذه الكرامة كلها ؟ فيقال لهم : كانوا يصلون بالليل ، وكنتم تنامون ، وكانوا يصومون ، وكنتم تأكلون ، وكانوا ينفقون ، وكنتم تبخلون ، وكانوا يقاتلون ، وكنتم تجبنونْ .

وأخرج البيهقى عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة طيراً كأمثال البخت ، قال أبو بكر : إنها لناعمة يا رسول ؟ قال : أنعم منها من يأكلها ، وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر » .

وأخرج هنّاد عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن فى الجنة طيراً كأمثال البخت ، تأتى الرجل فيصيب منها ، ثم تذهب كأن لم ينقص منها شىء » .

وأخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لَبَّيْكَ ربَّنَا وسَعْدَيْكَ ، فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلقك ؟ فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : وما أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » .

واخرج الطبرانى عن جابر رفعه : إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله : يا عبادى، هل تسألون شيئاً فأزيدكم ؟ قالوا : يا ربنا ، وما خير مما أعطيتنا ؟ قال : رضوانى أكبر .

وأخرج « مسلم » عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ينادى منادٍ إن لكم أن تَصِحُّوا ، فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تَحْيَوْا ، فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، فذلك قوله : « وَنُودُوا : أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون » .

وأخرج ابن أبى الدنيا ، والبيهيقى ، وابن أبى حاتم ، من طريق عاصم بن ضمرة عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : يساق الذين اتَّقَوْا ربهم إلى الجنة زُمَرًا حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان ، فعمدوا إلى أحدهما ، فشربوا منها ، فذهب ما فى بطونهم من أذًى وقذًى أو بأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى ، فتطهروا منها ، فجرت عليهم نَضْرَةُ النعيم ، فلن تغير أبشارهم بعدها أبداً ، أولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة ، فقالوا : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ » ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته فيقولون : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة ، ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان ، باسمه الذى كان يُدْعَى به فى الدنيا ،

فتقول : أنت رأيته ؟ فيقول : أنا رأيته ، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله ، نظر إلى أى شىء أساس بنيانه ، فإذا جندل اللؤلؤ ، فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه ، فإذا مثل البرق ، لولا أن الله قدره له لألم أن يذهب ببصره ، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه ، « وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ » فنظروا إلى تلك النعمة ثم تلوا « وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ » الآية . ثم ينادى منادٍ : تحيَوْنَ فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا ، وتصحون فلا تمرضون أبدا » هكذا أخرجوه من هذا الطريق موقوفا ، وروى من وجه آخر مرفوعا .

﴿ فصــل ﴾

روى عن بعضهم قال : إنى دخلت على فقير فلم أجد فى بيته شيئاً من المتاع ، فقلت له : ما عندكم شىء ؟ قال : بلى ؛ ولـكن لنا داران ، دار خوف ، ودار أمان . فنقلنا ما كان فى دار الخوف إلى دار الأمان ليكون محفوظا إلى وقت الحاجة ، يعنى بذلك ، إنفاقه فى سبيل الله تعالى .

أين وصفك يا هذا ، من أوصاف القوم؟ أين اليقظة من النوم ؟ سعد القوم ونزلت وجدوا فى الجد وهزلت ، كانوا فى العلى يجتهدون ولا يرضون من الدين بالدون ، لا جرم أنهم كانوا يعانون فيما يعانون ، فهم من الحق حاضرون ، وعن الخلق غائبون .

كان بشر الحافى رحمه الله تعالى لا ينام الليل و يقول : أخاف أن يأتى أمر الله وأنا نائم .

رحل ـ والله ـ أولئك السادة ، و بقى قرناء المهاد والوسادة ، ذهبت ـ والله ـ تلك الأشباح ، سلام الله على تلك الأرواح (شعراً) :

ذم المنازل بعد منزلة اللِّوَى   والعيش بعد أولئك الأيام

أولئك الباكون إذا ضحك الغافلون ، والتاركون إذا أحب الجاهلون ، والساهرون إذا اضطجع النائمون ، قطعوا مفاوز الدنيا وعقبات الآخرة ، فوجوههم بالنعيم ناضرة ، إلى ربها ناظرة ، إذا تليت عليهم أوصاف محبوبهم ، قاموا والهين وإن دعاهم داعى الشوق أجابو مسرعين .

قال أحمد بن أبى الحوارى : دخلت على أبى سليمان الدارانى رحمهما الله تعالى فوجدته يبكى ، فقلت له : يا أستاذى ، ما الذى أبكاك ؟ فقال لى : يا أحمد إذا جنَّ الليل على المحبين صفوا أقدامهم ، وأجروا دموعهم على خدودهم ، أشرف الجليل عز وجل عليهم ، ونادى : « يا جبريل ، بعينى من تلذذ بكلامى ، واستراح إلى مناجاتى وأنا المطالع عليهم ، أسمع حنينهم ، فنادهم : ما هذا الجزع الذى أراه بكم ؟ هل أخبركم مخبر أن حبيبا يعذب حبيبه ؟ فبعزتى حلفت ، لأجعلن هديتى لهم إذا وردوا علىَّ يوم القيامة أن أكشف لهم عن وجهى الكريم ، ثم أنظر إليهم وينظرون إلىَّ » أفتلومنى يا أحمد إذا بكيت على تخلفى عن هؤلاء القوم؟ (شعرا) :

هم الرجال وَغُبْنٌ أن يقال لمن   لم يتصف بمعالى وصفهم رجل

قال فى « طهارة القلوب » بعد سياق قوله تعالى «واللهُ يَدْعُو إلىَ دارِ السَّلام» دعا الأنام من دار الآلام إلى دار السلام ، فمن لبَّى فله تنشر الأعلام ، ومن أبى فبشقاوته جرت الأقلام ، دعاهم من دار العبادة إلى دار الزيادة ، دعاهم من دار الشقاء إلى دار البقاء ، دعاهم من دار أولها بكاء ، وأوسطها عناء ، وآخرها فناء ، إلى دار أولها عطاء ، وأوسطها لقاء ، وآخرها بقاء ، دعاهم من دنيا دنية ، إلى عيشة رضية ، دعاهم من دار التكليف إلى دار التشريف ، دعاهم من دار أصلها مدر ، وعيشها كدر ، ونفعها ضرر ، ووعدها غرر إلى دار أصلها درر ، وعيشها لقاء ونظر ، وطرازها جنات ونهر ، ودار السلام الجنة ، والسلام من أسماء الله تعالى ، فمعناه دار الله ، دعاهم إلى داره ، فنعم الدار دارهم ، ونعم المزار مزارهم ، ونعم

الجار جارهم ، نعم السكنى الفردوس الأعلى ، ونعم الجار السيد المولى ، ونعم الرفيق محمد المصطفى .

ويقال سميت الجنة دار السلام أى دار السلامة من الآفات والعاهات والنكبات يسلمون فيها من الضرر والفقر والبين والهجر ، ويسلمون من الأوجاع والأمراض ، والصدود والإعراض ، يسلمون فيها من طلب القوت ، وضيق البيوت ، وسكرات الموت ، وحسرة الفوت :

يا صاح إن كنت لبيبا حازما … فكن لأسباب الهوى مراغما
إن أردت أن تفوز فى غد … فكن تقيا ، واهجر المحارما
لا تهو دنياك فإن حبها … رأس الخطايا تكسب المآثما
غدارة فكل من حلَّتْ له … لا بد أن تذيقه العلاقما
وأنها تخدم من أهانَها … كما تهين من أتاها خادما
فكن بها مثل غريب مصلح … أزواده على الرحيل عازما
فإنما عمر الفتى سوق له … يروح عنها خاسرا وغانما
يا عجباً لمعشر أتتهم الدنيا … فلم يبنوا بها المكارما
ولا شروا مع علمهم زوالها … بها جنانا ونعيما دائما
إياك والتسويف فالعاقل من … ينجز ما كان عليه عازما
وإنما الموت مغير هائل … أعظم به على النفوس هاجما
والقبر إما روضة للمتقى … أو حفرة النار تصيب الظالما
يا لهفى من انشقاق حفرتى … ومحشرى إلى الحساب راغما
وموقفى أسأل عما قد جنت … يداى من سوء فأبقى واجما
وحين يأتينى كتابى فأرى … فيه الذى أتيته مكاتما
فإن يناقشنى فعبد هالك … وإن عفا نجوت منه سالما

اللهم وفقنا لمـا يقربنا إليك ، واجعلنا ممن آمن بك وتوكل عليك ، ولا تحرمنا من فضلك العظيم : ولا تطردنا عن ولائم كرمك العميم ، واجعلنا من ورثة جنة النعيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

﴿ الباب السادس عشر ﴾

﴿ فى بيان أكثر أهل الجنة وصفوفهم وصفتهم وأسنانهم ولسانهم ﴾

الحمد لله الذى أخرج همم الأولياء عن السكون إلى العاجلة ، وشرح صدور السعداء لإيثار الآجلة ، المتفرد بالكمال والكبرياء والجلال والبقاء والعز الذى لا نفاد له ، القلوب تعرفه بصنعته ، والرقاب خاضعة لعزته ، والعقول فى تعظيمه ذاهلة ، صفاته قديمة ، وتخيلات المشبهين والمعطلين باطلة ، الحى العليم القدير السميع البصير ، المدبر الخبير ، المتكلم بكلام قديم أزلى جل عن المشابهة والمماثلة .

أحمده على ما أسبغ من نعمه الكاملة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله ضمن الربح الجزيل لمن عامله .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله إلى أُمة غافلة ، فاستخلص من شرح الله صدره للإسلام بالمسالمة والمساهلة ، ودمَّر حزب الشيطان بالمكافحة والمفاضلة ، وأوضح مشكله و بين حكم نازله ، وأصبحت شمس الإيمان مشرقة ونجوم البهتان آفلة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا فرائض الدين ، وأحيوا نوافله ، صلاة دائمة مستمرة متواصلة ، وسلم تسليماً .

أخرج أحمد والبزار والطبرانى بسند صحيح عن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إنى لأرجو أن يكون من يتبعنى من أُمتى ربع أهل الجنة فكبرنا ، ثم قال : أرجو أن تكونوا ثلث الناس . فكبرنا ، ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا الشطر .

وأخرج الترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه ، والبيهقى عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم » .

وأخرج الشيخان عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قمت على باب الجنة ، فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجد (أى الحظ والغنى) محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار ، وقمت على باب النار ، فإذا عامة من دخلها النساء » .

وأخرج البزار عن أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أكثر أهل الجنة البله » .

قال العلماء : المراد ، البله فى أمر دنياهم ، وهم فى الآخرة أكياس .

قال الأزهرى : الأبله الذى طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه .

وقال الذهبى : البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور ، وحسن الظن بالناس .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير » .

قال القرطبى : فى تأويله وجهان :

أحدهما : أنها مثلها فى الخوف والهيبة والطير أكثر الحيوانات خوفاً وحذراً .

والثانى : أنها مثلها فى الضعف والرقة ، كما جاء فى وصف أهل اليمن : أرق قلوباً وأضعف أفئدة .

ويحتمل وجهاً ثالثا : أنها مثلها فى أنها خالية من كل ذنب ، سليمة من كل عيب ، لاخبرة لهم بأمور الدنيا ، فيكون كقوله فى الحديث السابق : البله .

وأخرج مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم

بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبرَّه . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مستكبر .

قال القرطبي : يعني ضعيفاً في أمور الدنيا ، قوياً في أمر دينه ، و « العتل » الجافي الشديد الخصومة ، وقيل : الأكول ، الشروب ، الظلوم ، وقيل : الفظ الغليظ الذي لاينقاد لخير .

و « الجواظ » الجموع المنوع ، وقيل : الجافي القلب ، وقيل : الكثير اللحم المختال .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دُرِّيٍّ في السماء إضاءةً لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستين ذراعاً في السماء .

وأخرج أحمد ، والطبراني ، وابن أبي الدنيا ، بسند جيد حسن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة جُرْداً مُرْداً ، بيضاً جُعْداً ، مُكَحَّلِين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ، طوله ستون ذراعاً ، في عرض سبعة أذرع » .

وأخرج الترمذي وأبو يعلى ، وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات من أهل الدنيا ، من صغير أو كبير ، يردون بني ثلاث وثلاثين سنة ، لا يزيدون عليها أبداً ، وكذلك أهل النار » .

وأخرج الطبراني عن المقداد بن الأسود : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الناس ما بين السقط إلى الشيخ الفاني أبناء ثلاث وثلاثين ، في

خلق آدم ، وحسن يوسف ، وقلب أيوب ، مُكَحَّلِين ، ذوى أفانين » .

قال القرطبي : تكون الآدميات فى الجنة على سن واحد ، وأما الحور فأصناف مصنفة ، صغار وكبار ، وعلى ما اشتهت أنفس أهل الجنة .

وأخرج الطبرانى ، وأبو نعيم عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده إنه لَيُرَى بياض الأسود فى الجنة من مسيرة ألف عام » .

وأخرج تمام فى فوائده ، وابن عَدِىّ عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة يوم القيامة يُدْعَوْنَ بأسمائهم إلا آدم ، فإنه يكنى أبا محمد » .

وأخرج الطبرانى ، والحاكم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحبوا العرب لثلاث : لأنى عربىّ ، والقرآن عربىّ ، وكلام أهل الجنة عربىّ » .

وأخرج ابن المبارك عن ابن شهاب قال : لسان أهل الجنة عربى .

وقال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية، فإذا دخلوا الجنة ، تكلموا بالعربية .

﴿ فصـــل ﴾

يتعين على العبد أن يكون خائفاً من سوء الخاتمة ، وأن لا يأمن مكر الله .

فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب، ثبِّتْ قلبى على دينك » .

وقالت له عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله ، إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء ، فهل تخشى ؟ قال : « وما يؤمننى يا عائشة ، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إذا أراد أن يقلب قلب عبده ، قلبه .

وفى الحديث الصحيح : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

وفى حديث البخارى : « إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار » وإنما الأعمال بالخواتيم ، ولا تتكل على ذلك فإن الصحابة رضوان الله عليهم لما قالوا عند سماع ذلك : ففِيمَ العمل يا رسول الله ؟ أفلا نتَّكل على كتاب أعمالنا ؟

قال لهم : « بل اعملوا فكل مُيَسَّرٌ لما خلق له » ثم تلا « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى » .

بكى عمر بن عبد العزيز ليلة فأطال ، فسئل عن بكائه ، فقال : ذكرت مصير القوم من بين يَدَىِ الله تعالى ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير . ثم صرخ وغشى عليه .

قال فى « طهارة القلوب » : والمكلفون على أربعة أقسام .

القسم الأول : ـ قوم خلقهم الله تعالى لخدمته وجنته ، وهم الأنبياء والأولياء ، والمؤمنون الصالحون .

القسم الثانى : ـ قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته ، وهم الذين عاشوا كفاراً ثم ختم لهم بالإيمان ، أوفرَّطوا مدة حياتهم وانهمكوا فى العصيان ، ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة ، على حالة التوبة والإحسان ، كسحرة فرعون ، آمنوا بالله ، وقُتِلُوا من يومهم ذلك ، فدخلوا الجنة .

القسم الثالث : ـ قوم خلقهم الله تعالى ، لا لخدمته ، ولا لجنته . وهم الذين يموتون على الكفر ، حرموا فى الدنيا نعيم الإيمان ، وفى الآخرة معذبون مخلدون فى الهوان .

القسم الرابع : ـ قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته ، وهم الذين كانوا

عاملين بطاعة الله تعالى ثم مكربهم ، فطردوا عن باب الله ، وماتوا على الكفر بالله. نسأل الله السلامة ـ بمنه وكرمه ـ فإنه يخلق ما يشاء بغير كلفة ولا نصب ، ويختار من يشاء ، بغير زُلْفَةٍ ولا سبب (شعرا) :

إلى الله تُبْ قبل انقضا زَمَنِ العمرِ أخى ولا تأمن مساورة الدهر
فقد حدثتك الحادثات نزولهـــا ونادتك إلا أن سمعك ذو وَقْرِ
تنوح وتبكى للأحبة إن مضوا ونفسك لا تبكى وأنت على الأثْر

قال حاتم الأصم : من خلا قلبه من ذكر أخطار أربعة فهو مغتر ، فلا يأمن الشقاء .

الأول : ـ خطر يوم الميثاق حين قال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى ، وهؤلاء فى النار ولا أبالى . فلا يعلم فى أى الفريقين كان .

والثانى : ـ حين خلق فى ظلمات ، فنودى الملك بالشقاء والسعادة ، ولا يدرى أمن الأشقياء هو ، أم من السعداء .

والثالث : ذكر هَوْل المطلع . ولا يدرى ، أبُشِّرَ برضاه أو بسخطه .

والرابع : ـ يوم يصدر الناس أشتاتا ، ولا يدرى أى الفريقين يسلك به . فحقيق لصاحب هذه الأخطار أن لا يفارق الحزن قلبه (شعرا) :

ليس السعيد الذى دنياه تسعده إن السعيد الذى ينجو من النار

إخوانى اذكروا ذنب أبيكم ونزوله بالزلل يكفكم ، بكى على ذنبه مائة عام حتى سالت الأودية من دموعه . اسمع يامن ضحك عند المعاصى (شعرا) :

سلوا بعدكم وادى الحمى ما أساله دمى أم دموعى فى هواكم أم القطر

(كان يقول لولده : يابنى : والله طال حزنى على دار خرجت منها ، فلو رأيتها لزهقت نفسك (شعرا) :

كيف لا أبكى على عيشٍ مضى بعت روحى برخيص الثمن
كيف أرجو البرء من داء الهوى وطبيبى فى الهوى أمرضنى

ابن آدم : أشبهت أباك فى المخالفة فتشبه به فى الندم ، فالويل لمن أحكم عقدة الإصرار . تفكر فى حال أبيك ، وتذكَّر ما جرى ويكفيك ؛ أبعد بعد القرب من ربه ، وأهبط من الجنة بشؤم ذنبه ، وأسره العدو بخديعته فى حربه ، وها هو يسعى فى هلاكك فاعتبر به .

ما صيد طائر إلا بترك التسبيح ، ما وقعت آفة بأحد إلا بسبب « إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُمَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » .

أواه ، كم غر الأكل من الشجرة شجرات ، كم أظهرت لك المحبة للمحبة من حبات .

بكى آدم حتى سال من دموعه الوادى ، ومنها ينبت جميع أشجاره .

يا آدم ما ضرّمن كسره غيرى ، أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى (شعرا) :

إن جرى بيننا وبينك عَتْبٌ   أو تناءتْ منا ومنك الديار

فالوداد الذىَ عَهِدْتَ مقيم   والدموع التى عرفت غِزَارُ

يا بنى آدم ، تلمحوا آثار « وعصى » لقمة أثرت أن عثرت فعرى المكتسى ، ونزل العالى ، وبكى الضاحك ، وقام المترفُ يخدم نفسه واشتد بكاؤه ، فنزل جبريل يسليه فزاد ـ برؤيته ـ وَجْدُهُ وبكاؤه .

كان آدم عليه السلام إذا نزلت الملائكة استنشق ريح القادمين من ثياب الواصلين ، وتعرف أخبار الديار من سمات القادمين ، وكان كلما ذكر الجنة بكى وقلق ، وكلما رأى الملائكة تصعد يحترق .

وأعظم البلاء على المشتاق تردد الركب إلى بلاد الحبيب وهو محبوس .

كان آدم يستنشق من القادمين ريح الوصال ويسأل ـ متحسراً ـ على الديار (شعرا) :

حَدِّثانى عن العقيق حديثا   أنتما بالعقيق أقرب عهدا

كان أولاده يتعجبون من كثرة بكائه ، ومن لم ير يوسف لم يعذر يعقوب (شعرا):

تذكرتُ أياماً مضت ولياليا ... خلت فجرى من ذكرهن دموع
ألا هل لنا يوماً من الدهر عودة ... وهل لى إلى وقت الوصال رجوع
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل ... وهل لبدور قد أَفَلْنَ طلوع

اللهم انظمنا فى سلك الفائزين برضوانك ، واجعلنا من المتقين الذى أعددت لهم فسيح جنانك ، وأدخلنا برحمتك فى دار أمانك ، وعافنا يا مولانا فى الدنيا والآخرة من جميع بلياتك ، وأجزل لنا من مواهب فضلك وهباتك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الباب السابع عشر ﴾
﴿ فى زيارة أهل الجنة إخوانهم ومذاكرتهم وما كان منهم فى الدنيا ﴾
﴿ وزيارة الأنبياء وأصحاب الدرجات العلى ﴾

الحمد لله الذى سبق علمه أن السعادة لا تنال بالاكتساب ، تفرد بسابق علمه بعلم ما أودعه فى أم الكتاب ، لا يعلم سره فى خلقه غيره فى الحين والمآب ، تجلى فى أفعاله لخلقه واحتجب عن المبعدين وظهر للأحباب ، ألهم أسرار العارفين المعرفة ورفع عن بصائرهم الحجاب ، انفرد بعلم السوابق وجعل الغيب كالستر على الباب ، أمر القلم أن يكتب فى اللوح ما يليق بالأسباب .

فيا معشر المذنبين تعرضو لنفحات الرحمة ، ولازموا الباب ، ولا تيأسوا ، فربما جاء اللطف من غير احتساب ، واصبروا على القضاء ، فلكل أجل كتاب « يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » .

أحمده حمداً يوجب لقائله جزيل الفضل والثواب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل من أوتى الحكمة وفصل الخطاب ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب وسلم تسليماً .

قال الله تعالى : « وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا : إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ » .

وأخرج البزار ، والبيهقى ، وابن أبى الدنيا ، وأبو الشيخ بسند حسن ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان فيجىء سرير هذا حتى يحاذى سرير هذا فيتكىء هذا ويتكىء هذا ، ويتحدثان بما كان فى الدنيا .

فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان تدرى يوم غفر الله لنا ؟

فيقول صاحبه : يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا .

وأخرج الطبرانى ، وابن أبى الدنيا عن أبى أيوب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة يتزاورون على نجائب بيض ، كأنهن الياقوت ، وليس فى الجنة من البهائم إلا الإبل والطير » .

وأخرج البزار عن أنس ، والطبرانى عن حارثة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كيف أصبحت ياحارثة » قال أصبحت مؤمنا حقا . قال : « فإن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ » قال : عزفت نفسى عن الدنيا ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا ، وإلى أهل الجنة فى الجنة يتزاورون ، وإلى أهل النار فى النار يَتَعَاوَوْنَ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مؤمن نَوَّرَ الله قلبه » .

قال فى « حادى الأرواح » بعد سياق قوله تعالى : « وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ؟ *

أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ : هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ : تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ » .

أخبر سبحانه أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض ، يتحدثون ، ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوال كانت فى الدنيا .

فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم : إنى كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ، ويقول ما حكاه الله عنه بقوله : أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ، ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى ، وكنا تراباً وعظاماً ؟

ثم يقول المؤمن لإخوانه فى الجنة : هل أنتم مطلعون فى النار ، لننظر منزلة قرينى هذا وما صار إليه .

هذا أظهر الأقوال ، وفيها قولان آخران :

أحدهما : أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدثون بعضهم بعضاً : هل أنتم مُطَّلِعُون ؟ رواه عطاء عن ابن عباس .

والثانى : أنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة : هل أنتم مطلعون ؟ .

والصحيح القول الأول ، وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثته ، والسياق كله ، والإخبار عنه وعن حال قرينه .

قال كعب : بين الجنة والنار كُوًى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوٍّ له كان فى الدنيا اطَّلع من بعض تلك الكوى ، وقوله : « فاطَّلَع » أى أشرف .

قال مقاتل : لما قال لأهل الجنة : « هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُون » قالوا له : إنك أعرف به منا ، فاطَّلِعْ أنت .

فأشرف فرأى قرينه فى وسط الجحيم ، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير

وجهه ولونه ، وغيره العذاب أشد تغيير ، فعندها قال الله تعالى : « تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ » أي إن كنت لتهلكني ، ولولا أن أنعم الله عليّ بنعمته ، لكنت من المحضرين معك في العذاب .

وقال الطبراني: حدثنا الحسن ابن إسحاق ، حدثنا سهل بن علان ، حدثنا المسيب ابن شريك ، عن بشر بن نمير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيتزاور أهل الجنة ؟ .

قال : « يزور الأعلى الأسفل ، ولا يزور الأسفل الأعلى . إلا الذين يتحابون في الله ، يأتون منها حيث شاءوا على النُّوق ، محتقبين الحشايا .

وقال الدورقي : حدثنا أبو سلمة التبوذكي ، حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ، ولا يزور الأسفل الأعلى ، فأهل الجنة يتزاورون فيها ، ويسأل بعضهم بعضاً ، وبذلك تتم لذتهم وسرورهم ، ولهذا قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم ـ وقد سأله « كيف أصبحت يا حارثة » ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً .

قال : إن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ .

قال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرتُ ليلي ، وأظمأتُ نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يعذبون فيها.

فقال : « عَبْدٌ نوَّر الله قلبه » انتهى .

﴿ فصل ﴾

قال : وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنك لأحب إليّ من أهلي ،

ومن نفسى ، ومن ولدى ، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك ، وما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، فإذا ذكرت موتى وموتك ، عرفت إذاً أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك .

فلم يرد عليه شيئاً حتى نزل جبريل بهذه الآية : « وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً » .

فهذا الحديث يتضمن البشارة العظيمة بالمثوبة الجسيمة لمن كملت محبته للنبى صلى الله عليه وسلم وكذلك من أحب غيره من سائر النبيين والصالحين ، لأن ذلك دليل على محبة الله عز وجل .

فمتى قويت محبة العبد لله تعالى ، قويت محبته لأوليائه والصالحين من عباده .

وقد سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كيف ترى فى رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ قال : « المرء مع من أحب » .

وسأله آخر عن الساعة ، قال : « وما أعددت لها ؟ قال : لا شىء ، غير أنى أحب الله ورسوله . قال: « أنت مع من أحببت » .

قال أنس : فما فرحنا بشىء فرحنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أنت مع من أحببت » .

قال أنس : فأنا أحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ، وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم .

وقد بلغ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى محبته صلى الله عليه وسلم منتهى الغاية وأقصى النهاية .

ويشهد لذلك ما روى : أن امرأة من الأنصار قتل أخوها ، وزوجها ، يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً ، هو كما تحبين .

فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه . فلما رأته قالت : « كل مصيبة بعدك جلل » – يعنى صغيرة – .

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه : ما كان أحد أحب إلىَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال على رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من أموالنا ، وأولادنا ، وأُمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمأ .

واعلم أنه لا يتم للعبد الإيمان حتى أن يحبه عليه الصلاة والسلام ، بل يجب تقديمه فيها على الأنفس والآباء والأبناء ، إذ محبته من محبة الله تعالى .

فمن يدَّعى حب الله – مثلا – ولا يحب رسوله ، لا ينفعه ذلك كما قيل (شعرا) .

ألا يا محب المصطفى زِدْ صَبَابَةً وضمِّخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبَأَنْ بالمبطلين فإنما علامة حب الله حب حبيبه

وكذلك كل حب لله وفى الله ، كما فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرءِ لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

وفيه أيضاً من حديث عبد الله بن هشام : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : لَأنتَ –يا رسول الله– أحبُّ إلىَّ من كل شىء إلا نفسى التى بين جَنْبَىَّ .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه .

فقال عمر : والذى نفسى بيده لَأنت أحب إلىَّ من نفسى التى بين جَنْبَىَّ .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « الآن ياعمر » .

قال فى «المواهب اللدنية» : و إذا كان الإنسان يحب من منحه ـ من دنياه مرة أو مرتين ـ معروفا فانيا منقطعاً ، أو استنقذه من هلكته ، فما بالك بمن منحه منحاً لاتبيد ولاتزول ، ووقاه من العذاب الأليم ، ما لايفنى ولا يحول .

و إذا كان المرء يحب غيره ـ على مافيه من صورة جميلة وسير حميدة ، فكيف بهذا النبى الكريم ، والرسول الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم ، المانح لنا جوا مع المكارم والفضل العميم ؟

فقد أخرجنا الله به من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ، وخلصنا به من نار الجهل إلى جنان المعارف والإيقان .

فأى إحسان أجل قدراً ، وأعظم خطراً من إحسانه إلينا ، فلا منة لأحد ـ بعد الله ـ كما له علينا ، فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين .

بل لو كان فى كل منبت شعرة محبة تامة له صلى الله عليه وسلم ، لكان ذلك بعض مايستحقه علينا .

قال : ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض الإنسان على نفسه أنه لو خير فَقْدَ غرض من أغراضه وفَقْدَ رؤية النبى صلى الله عليه وسلم أن لو كانت ممكنة ، فإن كان فَقْدُهَا أن لو كانت ممكنة أشدَّ عليه من فَقْدِ شىء من أغراضه ، فقد اتَّصف بالأحبِّيَّةِ المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا ، فلا . انتهى .

ومن أعظم العلامات لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف مع ما حدَّ لنا من شريعته .

ويدل لذلك مارواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه مرفوعا : « من أحيى سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم أن يرضى مدَّعيها بما شرعه حتى لايجد فى نفسه حرجاً مما قضى ، ونصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته ، والتخلق بأخلاقه فى الجود ، والإيثار ، والحلم والصبر ، والتواضع وغيرها من أخلاقه العظيمة .

ومنها : كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم ، ومحبة سنته ، وقراءة حديثه ، وأن يلتذ بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف .

ومنها : تعظيمه صلى الله عليه وسلم عند ذكره ، وإظهار الخضوع والانكسار والخشوع مع سماع اسمه ، فكل من أحب شيئا ، خضع له .

كما كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم إذا ذكروه خشعوا ، واقشعرت جلودهم وبكوا .

وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم .

فكان أيوب السختيانى إذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، بكى حتى يرحمه جلساؤه .

وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم ، فإذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عنده اصفرَّ لونه .

وكان عبد الرحمن بن القاسم إذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أمامه ، ينظر إلى لونه كأنه قد نزف منه الدم ، وقد جف لسانه فى فمه هيبةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان قتادة إذا سمع الحديث ، أخذه العويل والزويل .

ومنها : حب القرآن الذى أتى به ، وهدى به ، واهتدى به ، وتخلَّق به .

وإذا أردت أن تعرف ماعندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله ، فانظر محبة القرآن من قلبك ، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهى والغناء المطرب بسماعهم ، فإنه ـ من المعلوم ـ من أحب محبوباً ، كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه .

ويروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنـــه قال : لو طهرت قلوبنا ، ما شبعنا من كلام الله ، وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه .

وكان الصحابة رضى الله عنهم إذا اجتمعوا ، وفيهم أبو موسى ، يقولون : ياأبا موسى ، ذكِّرْنا ربنا . فيقرأ وهم يسمعون .

ومنها : كثرة الشوق إلى لقائه صلى الله عليه وسلم ، إذْ كلّ حبيب يحب لقاء حبيبه .

قال بعضهم : المحبة الشوق إلى المحبوب .

ولهذا كان الصحابة رضى الله عنهم إذا اشتد بهم الشوق : قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستشفوا بمشاهدته ، وتلذذوا بالجلوس معه والنظر إليـه ، والتبرك به صلى الله عليه وسلم .

وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : ما كان خالد يأوى إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول : بهم أصلى وفصلى ، وإليهم يحن قلبى ، طال شوقى إليهم ، فعجِّل ـ ربِّ ـ قبضى إليك حتى يغلبه النوم .

ولما احتضر بلال نادت امرأته : واحرباه ، فقال : واطرباه ، غداً ألقى الأحبة ، محمداً وحزبه (شعراً) :

اسمع أنين العاشقين إن استطعت له سماعا
راح الحبيب فشيعته مدامع تَهْمِى سراعا
لو كلف الجبل الأصم فراق إلف ماستطاعا

اللهم وفقنا توفيقا يوقفنا عن معاصيك ، ويحثنا للإقبال لما يرضيك ، وارزقنا الاستعداد لما وعدتنا ، وأدم لنا إحسانك كما عودتنا ، وأتمم علينا ما به أكرمتنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك ياأرحم الراحمين .

﴿ الباب الثامن عشر ﴾

﴿ فى زيارة أهل الجنة ربهم ورؤيتهم له تبارك وتعالى ﴾

الحمد لله منشىء الموجودات ، وباعث الأموات ، وسامع الأصوات ، ومجيب الدعوات ، وكاشف الكربات عالم الأسرار ، ومظهر الأسرار ، وغافر الإصرار ، ومنجى الأبرار ، ورافع الدرجات ، الذى علَّم وألهم ، وأنعم وأكرم ، وحكم وأحكم ، وأوجب وألزم ، والذى يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات .

أحمده حمد معترف بالعجز عن ثنائه .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له فى عزه وكبريائه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد أصفيائه وخاتم أنبيائه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الجد والاجتهاد فى الطاعات وسلم تسليما .

قال الله عز وجل : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » وقال تعالى : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ » وقال تعالى : « وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ » .

وأخرج مسلم والترمذى ، وابن ماجه عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله تبارك تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تُبَيِّضْ وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟

قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا هذه الآية : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ » .

وأخرج ابن جرير وابن مردويه ، عن أبي موسى الأشعرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادى بصوت يسمعه أولهم وآخرهم ، يا أهل الجنة ، إن الله وعدكم الحسنى ، الجنة ، والزيادة ، النظر إلى وجه الرحمن .

وأخرج الآجرئ ، والبيهقى ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ » قال حسنة : « إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » قال : نظرت إلى الخالق .

وأخرج البزار ، والطبرانى ، وأبو يعلى ، والآجرئ ، والدرقطنى ، والبيهقى ، وابن أبى الدنيا عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبريل وفى يده مرآة بيضاء ، فيها نكتة سوداء .

فقلت : ماهذه ياجبريل ؟ قال : هذه الجمعة ، يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ، ولقومك من بعدك .

قال : مالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير ، قلت : ما هذه النكتة السوداء فيها ؟

قال : هذه الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام عندنا ، ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد .

قلت : لِمَ تدعونه يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتَّخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض .

فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ، ثم حُفَّ الكرسى بمنابر من نور ، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ، ثم حف المنابر بكراسى من ذهب ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ، ثم يجىء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثب فيتجلىَّ لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول : أنا الذى صدقتكم وعدى ، وأتممت عليكم نعمتى ، هـذا محل كرامتى فاسألونى فيسألون الرضى .

فيقول عز وجل : رضائى أحلَّكُمْ دارى ، وأنالَكُمْ كرامتى فاسألونى ، فيسألوه حتى تنتهى رغبتهم .

فيفتح لهم عند ذلك ما لاعين رأت ، ولاأذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة .

ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه ، ويصعد معه الشهداء والصديقون .

ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاء لا وصم فيها ولا قصم ، أو ياقوتة حمراء وزبرجدة خضراء ، منها غرفها ، وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها .

فليسوا إلى شىء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ، ليزدادوا فيها كرامة وليزدادوا فيه نظراً إلى وجهه تبارك وتعالى ، ولذلك دعى يوم المزيد .

وأخرج أبو نعيم عن علىّ قال : إذا سكن أهل الجنة الجنة ، أتاهم ملك فيقول : إن الله أمركم أن تزوروه ، فيجتمعون .

فيأمر الله داود ، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ، ثم توضع مائدة الخلد .

قالوا : يارسول الله ، وما مائدة الخلد ؟

قال : زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ، ثم يُسْقَوْنَ ، ثم يُكْسَوْنَ ، فيقولون : لم يبق لنا إلا النظر إلى وجه ربنا عز وجل .

فيتجلى لهم ، فيخرون سُجَّداً ، فيقال لهم : لستم فى دار عمل ، إنما أنتم فى دار جزاء .

وأخرج الترمذى وابن ماجه عن سعيد بن المسيب أنه لقى أباهريرة فقال أبوهريرة : أسأل الله أن يجمع بينى و بينك فى سوق الجنة . فقال سعيد : أفيها سوق ؟

قال : نعم أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها ، نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون

ربهم ، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور ،ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابرمن زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابرمن فضة ، ويجلس أدناهم -ومافيهم من دنيٍّ- على كثبان المسك والكافور ، مايرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلساً .

قلت : يارسول الله ، وهل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا .

قال : كذلك لاتمارون فى رؤية ربكم ، ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة ، حتى يقول للرجل منهم : يافلان ابن فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ فيذكره بعض غدراته فى الدنيا ، فيقول : يارب أفلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى بسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه .

فبينما هم على ذلك ، غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط .

ويقول ربنا : قوموا إلى ماأعددت لكم من الكرامة ، فخذوا مااشتهيتم .

فنأتى سوقاً قد حفت به الملائكة ، مما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب . فيحمل لنا مااشتهينا ، ليس يباع فيها ولا يشترى .

وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً ، فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة ، فيلقى من هو دونه ، وما فيهم دنِيٌّ ، فيروعه مايرى عليه من اللباس .

فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل له ماهو أحسن منه ، وذلك أنه لاينبغى لأحد أن يحزن فيها .

ثم ننصرف إلى منازلنا ، فيتلقانا أزواجنا ، فيقلن : مرحباً وأهلا لقد جئت وإنَّ بك من الجمال أفضل مما قد فارقتنا عليه .

فيقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ماانقلبنا .

وأخرج الآجُرِّىُّ عن الحسن قال : « إن الله ليتجلَّى لأهل الجنة ، فإذا رأوه ، نسوا نعيم الجنة » .

وأخرج اللالكائى ، والآجرى ، والبيهقى ، عن الحسن البصرى قال : لو علم العابدون فى الدنيا : أنهم لا يرون ربهم فى الآخرة ، لذابت أنفسهم .

وأخرج أبو نعيم ، عن أبى يزيد البسطامى قال : إن لله خواص من عباده ، لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته ، لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار من النار .

وأخرج البيهقى عن الأعمش قال : إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تعالى غدوة وعشية .

﴿ فصـــل ﴾

قال فى « حادى الأرواح » فى باب « رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى » : وهذا الباب أشرف أبواب هذا الكتاب وأجلها قدراً ، وأعلاها خطراً ، وألذها لعيون أهل السنة والجماعة ، وأشدها على أهل البدعة والفرقة .

وهى الغاية التى شمر إليهـا المشمرون ، وتنافس فيهـا المتنافسون ، ولمثلها فَلْيَعْمَلِ العاملون .

إذا نالها أهل الجنة ، نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانُه ، والحجابُ عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم ، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون ، وأنكرها أهل البدع المـارقون ، والجهمية المتهوكون ، والفرعونية المعطلون ، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون ، والرافضة الذين هم بحبـال الشيطان متمسكون ، ومن حبـل الله منقطعون ، وعلى مسبَّة أصحاب رسول الله عاكفون ، وللسنة وأهلها محاربون ، ولـكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون .

وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون ، وعن بابه مطرودون . انتهى .

وقال فى «اللطائف» : العارفون لا يُسَلِّيهم عن رؤية مولاهم قَصْر ، ولا يُرْوِيهم دون مشاهدته نهر ، هم أجل من ذلك .

رُئى بشرٌ فى المنام فسُئلَ عن حالهِ ، فقال : عَلِمَ قِلّةَ رغبتى فى الطعام ، فأباحنى النظرُ إليه .

وقيل لبعضهم : أين نطلبك فى الآخرة ؟ قال : فى زمرة الناظرين إلى الله .

قيل له : كيفَ علمتَ ذلك ؟ قال : بِغَضٍّ طَرْفى له عن كل محرَّم ، وباجتنابى فيه عن كل مُنْكَرٍ ومأثم ، وقد سألتُه أن يجعل جنَّتى النظر إليه .

قال عمر بن عبد العزيز : إن لى نفساً توَّاقة ، ما نالَتْ شيئاً إلا تاقَتْ إلى ما هو أفضلُ منه ، ولما نالتْ هذه المنزلة ـ يعنى الخلافة ـ وليس فى الدنيا منزلة أعْلى منها تاقتْ إلى ما هو أعلى من الدنيا ـ يعنى الآخرة ـ (شعرا) :

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتى العزائم   وتأتى على قدرِ الكرامِ المكارمُ

قيمة كل إنسان ما يطلبُه ، فمن كان يطلبُ الدنيا ، فلا أدنى منه ، فإن الدنيا دَنيَّة ، وأدنى منها من يطلبُها ، وهى خسيسة ، وأخسُّ منها من يخطبُها .

قال بعضهم : القلوب جوالة ، فقلبٌ يجولُ حولَ العرشِ ، وقلبٌ يجولُ حولَ الْحُشِّ ، الدنيا كلها حشٌّ ، وكل ما فيها من مطعمٍ ومشربٍ يؤولُ إلى الحش ، وما فيها مِنْ أَجْسَامٍ ولباسٍ يصير تراباً ، كما قيل :

* وكل الذى فوقَ الترابِ ترابُ[1] *

---

(١) هذا شطر بيت من أبيات : أولها

فليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر   وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين   وكل الذى فوق التراب تراب

اهـ مصححه ـ محمد زهرى النجار

وأما من كان يطلبُ الآخرةَ فقدرُهُ خطيرٌ ؛ لأن الآخرة خطيرة شريفة ، ومن يطلبُها أشرفُ منها .

وأما من كان يطلبُ الله فهو أكبرُ النـاس عنده ، كما أن مطلوبَه أكبرُ من كل شيء .

قال الشّبليُّ رحمه الله تعالى : من ركن إلى الدنيا أحرقَتْهُ بنارِها ، فصارَ رَماداً تذرُوه الرياحُ ، ومَنْ رَكَنَ إلى الآخرة أُحْرِقَ بنورها ، فصار سبيكةَ ذهبٍ ينتفعُ به ، ومن ركنَ إلى الله احـترق بنور التوحيد ، فصارَ جوهراً لا قيمة له[1] ولله در القائل :

يا حبيبَ القلوبِ مالى سِواكا ارْحَمِ اليومَ مذنباً قد أتاكا
ليسَ لى فى الجِنَانِ أحسنُ رَأْيٍ غـيرَ أنى أريدُها لِأَرَاكا

أعياد المؤمنين فى الجنة ، أيام زيارتهم لربهم عز وجل ، فيزُورُونَه ، ويكرمُهم غايةَ الـكرامة ، ويتجلَّى لهم فينظرونَ إليه ، فما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم من ذلك ، وهو الزيادة التى قال الله فيها « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَة » فليس للمحب عيدٌ سوى قربِ محبوبِهِ (شعرا) :

إن يوماً جامعاً شمـلى بهم ذاك عيدٌ ليسَ لى عيدٌ سِوَاهُ

كل يوم كان للمسلمين عيد فى الدنيا فإنه عيدٌ لهم فى الجنة ، يجتمعون فيه على زيارة ربهم ، ويتجلَّى لهم فيه ، ويوم الجمعة يُدْعَى فى الجنة يوم المزيد ، ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيها للزيارة ، فهذا لعموم أهل الجنة .

فأما خواصُّهُم فـكل يومٍ لهم عيدٌ يرون رَبَّهم كُلَّ يوم مرتين ، بكرةً وعَشِيًّا .
الخواصُ كانت أيامُ الدنيـا كلها لهم أعياداً ، فصارت أيامهم فى الآخرةِ كلها أعياداً .

---

(١) قوله : لا قيمة له . أى لا يمكن أن تدخل تحت تقويم المقومين لنفاسته وعلو قدره ورفعة درجته ـ اهـ مصححه ـ محمد زهرى النجار

قال الحسن : كل يوم لا تعصى الله فيه فهو عيدٌ .

كل يوم يقطعه المؤمن فى طاعةِ مولاه وذكرِه وشُكرِه ، فهو له عيدٌ .

كما أنشدَ الشّبْلى رحمه الله (شعرا) :

عيدى مقيمٌ وعِيدُ الناسِ منصرفُ والقلبُ مِنِّى عن اللذاتِ منحرفُ
ولى قرينانِ مالى منهما خَلَفٌ طولُ الحنين وعينٌ دمعُها يكفُ

اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم ، ولا تحجبنا عن رؤيتك يا ذا الكرم العميم ، واغفر لنا ولوالدينا ، ولا تعذبنا بعذابك الأليم ، برحمتك وجودك ، يا أرحم الراحمين ، آمين .

﴿ الباب التاسع عشر ﴾

﴿ فى ذكر خلود المؤمنين فى الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد ﴾

الحمد لله العليم الحليم ، الرحيم الحكيم الحميد ، الولىّ القوى ، الغنىّ الحقّ ، العلىّ المجيد ، الأول فلا بداية لكبريائه ، الآخر فلا نهاية لبقائه ، الظاهر بما أظهر من آياته وآلائه ، الباطن فلا يحيط العقل بحقيقة ثنائه ، والفكر عن حمى قدسه بعيد ، الواحد الأحد ، القدوس الصمد ، الحىّ العليم القدير ، السميع البصير ، الفعال لما يريد .

أحمده على جزيل نواله ، وجميل إفضاله ، ففى كل نَفَسٍ علينا منه فضل جديد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة صادِرَةً عن إخلاص وتوحيد .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذى أرغم — بعز سلطانه — أنف كل جبار عنيد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة التأييد ، وسلم تسليماً .

قال الله تعالى : « وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فيها ما دَامتِ السموات وَالأرْضُ إلا مَا شَاء رَبُّكَ عطاءً غَيْر مجذُوذٍ » .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم ، يا أهل النار لا موت ، ويا أهل الجنة لا موت كل خالد فيما هو فيه .

وأخرج الشيخان أيضا ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادى منادٍ : يا أهل الجنة ، لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم.

وأخرج الشيخان عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنةخلود ولا موت، ويا أهل النار خلودولاموت ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قضىَ الأمرُ » .

وأخرج ابن ماجه ، والحاكم وصححه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يؤتى بالموت فى هيئة كبش أملح ، فيوقف على الصراط ، فيقال : يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين وجلين ، مخافة أن يخرجوا مما هم فيه ، فيقال : أتعرفون هذا ؟فيقولون : نعم ، هذا الموت ، فيقال : يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا مما هم فيه ، فيقال أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم . هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح على الصراط . فيقال للفريقين : خلود فيما تجدون ، ولاموت فيها أبدا .

وأخرج الطبرانى ، والحاكم وصححه ، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن ، فلما قدم عليهم قال ، يا أيها الناس : إنى رسول رسول الله

إليكم ، يخبركم أن المرد إلى الله ، إلى جنة أو نار ، خلود بلا موت ، وإقامة بلا ظعن ، فى أجساد لا تموت .

وأخرج الطبرانى ، وأبو نعيم، وابن مردويه،عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو قيل لأهل النار : إنكم ما كثون فى النار عدد كل حصاة فى الدنيا لفرحوا ، ولو قيل لأهل الجنة : إنكم ما كثون فى الجنة عدد كل حصاة لحزنوا ، ولكن جعل لهم الأبد .

وأخرج مسلم ، عن المستورد بن شداد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فَلْيَنْظُرْ بِمَ يرجع ؟ » .

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبير قال : إنما الدنيا جمعة من جمع الآخرة .

﴿ فصل ﴾

قال فى « البدور السافرة » .

اعلم أن للعلماء فى الاستثناء المذكور فى قوله تعالى « خالدينَ فِيهاَ ماَ دَامَتِ وَالْأَرْضُ إلاماَ شَاءَ رَبُّكَ » أَقْوالا ، أشبهها بالصواب : أنه ليس باستثناء ، وإنما «إلا» بمعنى «سوى» كما تقول : لى عليك ألف درهم إلا ألفان التى لى عليك ، أى سوى الألفين .

والمعنى خالدون فيها قدر مدة دوام السموات والأرض فى الدنيا ، سوى ما شاء ربك من الزيادة عليها ، مما لا منتهى له ، وذلك عبارة عن الخلود .

والنكتة فى تقديم ذكر مدة دوام السموات والأرض ، التقريب إلى الأذهان بذكر المعهود أولا ثم إردافه بمالا إحاطة للذهن به ، والجرى على عادة العرب فى

فى قولهم فى الإخبار عن دوام الشيء وتأبيده : لاآتيك مادامت السموات والأرض .
انتهى (شعراً) :

عليك بما يفيدك فى المعاد	وما تنجو به يوم التناد
فمالك ليس ينفع فيك وعظ	ولا زجر كأنك من جمادِ ؟
ستندم إن رحلت بغير زاد	وتشقى إذ يناديك المنادِ
فلا تفرح بمالٍ تقتنيه	فإنك فيه معكوس المرادِ
وتب مما جنيت وأنت حيٌّ	وكن متنبها من ذا الرقادِ
يَسُرُّكَ أن تكون رفيق قوم	لهم زاد وأنت بغير زاد ؟[1]

فى الحديث ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحب آخرته أضرَّ بدنياه ، ومن أحب دنياه أضر بآخرته ، فآثروا مايبقى على مايفنى » .

وقال لقمان عليه السلام : من باع دنياه بآخرته ، ربحهما جميعاً ، ومن باع آخرته بدنياه خسرهما جميعاً .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : لو كانت الدنيا ذهباً يفنى ، والآخرة خزفا يبقى ، لكان ينبغى لنا أن نؤثر خزفا يبقى على ذهب يفنى . فكيف والدنيا خزف يفنى ، والآخرة ذهب يبقى ؟! » .

وقال محمد بن على الترمذى رضى الله عنه : لم تزل الدنيا مذمومة فى الأمم السالفة عند العقلاء منهم ، وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضين ، وماقام داعٍ فى الأمة إلا وقد حذَّر متابعة الدنيا وجمعها والحب لها ، ألا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال : « اتَّبِعُونِى أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ » ثم قال « إنمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإنَّ الآخِرَةَ

---

(١) وفى رواية أخرى

أترضى أن تكون رفيق قوم	لهم زاد وأنت بغير زاد ؟

هِىَ دَارُ الْقَرَارِ » أى لن تصل إلى سبيل الرشاد وفى قلبك محبة للدنيا وطلب لها .
وقال أبو العتاهية (شعراً) :

هى الدار دار الأذى والقذا ... ودار الفناء ودار الْغِيَرَ
فلو نِلْتَهَا بحذافيرها ... لَمُتَّ ولم تقض منها الوطر
أيا من يُؤمِّل طول البقاء ... وطول الخلود عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير فى العيش بعد الكبر

وقال رجل لداود الطائى : أوصنى ، فقال له : صُمْ عن الدنيا ، واجعل فِطْرَكَ الموت ، وفِرَّ من الناس فرارك من الأسد .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى . لو أتيت بالدنيا وقيل لى : خذها حلالا بلا حساب ، لكنت استقذرتها ، كما يستقذر أحدكم الجيفة إذا مَرَّ بها ، أن تصيب ثوبه .

وقال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : لو كانت الدنيا تباع فى السوق ماشتريتها برغيف ، لما أرى فيها من الآفات . وقال أيضاً (شعراً) :

ومن يجهل الدنيا فإنى عرفتها ... وسيق إلينا عَذبُهَا وعذابها
فلم أرها إلا غروراً وباطلا ... كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها
وماهى إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سِلْماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها

قال وهب بن منبه : قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام : من هم أولياء الله ، الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال عيسى عليه السلام : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، فأخذوا منها مايقوتهم يوماً بيوم ، وتركوا ماوراء ذلك ، فما عرض لهم من نائلها رفضوه ، وما ارتفع منها لغير الله وضعوه ، خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها ، وخربت فى صدورهم فلم يعمروها ، فهم يهدمونها ويبنون آخرتهم ، ويبيعونها ويشترون مايبقى لهم ، لهم حال غريب ، وعندهم الخبر

العجيب ، بهم قام الكتاب و به قاموا ، و بهم نطق الكتاب و به نطقوا ، ليس يرون نائلا فوق مايرجون ، ولا خوفا دون مايحذرون ، أولئك الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون (شعراً) :

عجبت والدهر لاتفنى عجائبه — للراكنين إلى الدنيا وقد سبقوا
دار تغر بها الآمال مهلكة — وذو التجارب فيها خائف فَرِقُ
والمرء مثل هلال عنـــد طلعته — يبدو ضئيلا لطيفاً ثم يتسق
يزداد حتى إذا ماتمَّ أعقبـــه — كرُّ الجديدين نقصا ثم يمتحق
ياللرجال لمخـــدوع بزخرفها — بعـــد البيان ومغرور بها يثق
ياأهل دار فناء لابقاء لهـــا — إن اغتراراً بِظلٍّ زائل حَمَقُ

لله در أقوام تأملوا عيبها ، وما زالوا حتى رأوا غيبها ، نزلوا من الدنيا منزلة الأضياف ، أخذوا الزاد وقالوا : ماازداد إسراف ، لو رأيتهم فى الدجى يراعون النجوم ، وخيل الفكر قد قطعت جلباب الهموم ، أحرقت أحزانهم أجسادهم و بقيت الرسوم ، بلغتهم البلغ ورمتك التخم فى التخوم ، سكروا من مناجاة الكريم لا من بنات الكروم ، هذه سلع الأسحار من يشترى من يسوم .

قال الحسن رحمه الله تعالى : بلغنى أن ريحا من الجنة تهب فى وقت السحر خاصة فتحرك أشجار الجنة ، فبرد السحر وطيبه إنما هو يخرج من خلال تلك الأشجار من روايح الجنة (شعراً) .

ياحبذا جبل الريَّانِ من جبل — وحبذا ساكن الريان أحيانا
وحبذا نفحات منـــه واردة — تأتيك من قبل الريان أحيانا

يروى أن الله عز وجل أوحى إلى نبى من أنبيائه : بعينى مايتحمل المتحملون من أجلى ، وما يكابدون فى طلب مرضاتى ، فكيف بهم إذا صاروا إلى جوارى ، وأشير بهم للجلوس عندى ، وسفرت لهم عن وجهى ؟ أتظنون أنى أنسى

لهم عملا ؟ كيف وأنا الجواد الكريم ؟ أجود على المولّين عنى ؛ فكيف لاأجود على المقبلين علىّ ؟ ! وما أغضب لشىء ، كغضبى على من أخطأ خطيئة واستعظمها فى جنب عفوى ، فلو عجلت العقوبة على أحد ، لعجلتها على القانطين من رحمتى .
(شعراً) :

تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا لأخراهم
أحبوا الفرار وصاموا النهار وبالليل قاموا لمولاهم
فحل السقام بأبدانهم فعاد الطبيب وداواهم
وأرضاهم بالرضى عنهم وعن سائر الخلق أغناهم

يروى أن الإسكندر مرّ بمدينة فى سفره قد ملكها سبعة من الملوك وبادوا جميعهم ، فقال : هل بقى من نسل هؤلاء أحد ؟

قالوا : نعم بقى رجل وهو فى المقابر ، لايسكن لأحد ولا يأنس إلا بالواحد الفرد الصمد .

فقال لهم : دلونى على مكانه ؟ فدلوه عليه .

فلما أتاه ، رأى رجلا قد أنحلته العبادة ، وأذابه الخوف ، فسلم عليه ذو القرنين فرد عليه السلام .

فقال له ذو القرنين : ياهذا ماحملك على لزوم المقابر ؟

فأطرق إلى الأرض ، ثم رفع رأسه ، وقال : أردت أن أعزل الملوك من عظام عبيدهم ، فلم أقدر على ذلك .

فقال الإسكندر : هل لك أن تتبعنى ، فأحيي بك شرف آبائك إن كانت لك همة . ؟

فقال : إن همتى لعلية ، إن كانت بغيتى عندك . قال : وما بغيتك ؟

قال : أبغى حياة لاموت بعدها ، وشباباً لاهرم بعده ، وغِنًى لافقر بعده .

قال ذو القرنين : لا أقدر على ذلك .

قال : فامض لشأنك ، ودعنى أطلب ذلك ممن هو أقدر ، وله أملاك ، فإن الدنيا قد ذهبت ، والآخرة قد قربت ، والسفر بعيد ، وليس معى زاد ، والرقاد طويل ، وأنا على غير مهاد (شعراً) :

تخير قريناً من فعالك إنمـــا　　قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل
فإن كنت مشغولا بشىء فلا تكن　　بغير الذى يرضى به الله تشغل
فلا يصحبُ الإنسان من بعد موته　　إلى ربه إلا الذى كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله　　يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين ، وعبادك المتقين ، الذين أهَّلْتَهُمْ لخدمتك ، ونَعَّمْتَهُم بأنسك وحضرتك ، وسقيتهم لذيذ شرابك ، وخلعت عليهم خِلَعَ أحبابك ، بفضلك ورحمتك ، يا أرحم الراحمين ، واغفر لنـا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، آمين .

﴿ الباب العشرون ﴾

﴿ فى ذكر أول من يدخل الجنة وآخر أهلها دخولا فيها ﴾

الحمد لله الذى دبَّر الخلائق بالإيجاد بألطف التدبير ، وتفرد بالاختراع فلم يحتج إلى معين ولا ظهير ، قسم أقداره على الخلائق بميزان العقل ومثاقيل التقـدير ، فـكلٌ ميسر لما خلق له ، من تيسير وتعسير ، وتقويم وتقدير ، قسم القبضتين على ماسبق فى علمه ، ففريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، فسبحان من بيده مقاليد التقدير .

أحمده حمد عبد بحبل رجائه مستجير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة استعدها للكأس المرير .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الجد والتشمير ، وسلم تسليما .

أخرج مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتى باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح ، فيقول الخازن: من أنت ؟ فأقول محمد . فيقول : بك أُمِرْتُ لا أفتح لأحد قبلك » .

وأخرج أبو يعلى والأصبهانى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » : أنا أول من يفتح باب الجنة ، إلا أنى أرى امرأة تبادرنى فأقول لها : مالك ، ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدْتُ على أيتامى» :

وأخرج الطبرانى بسند حسن ، عن عمر بن الخطاب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى » .

وأخرج حميدبن زنجويه ، عن جابر أن رجلاقال : يارسول الله ، أى الخلق أسبق دخولا إلى الجنة يوم القيامة ؟ قال : الأنبياء ، قال : ثم من ؟ قال : الشهداء ، قال : ثم من ؟ قال : مؤذنو الكعبة ، قال : ثم من ؟ قال : مؤذنو بيت المقدس ، قال : ثم من ؟ قال : مؤذنو مسجدى هذا ، قال : ثم مَنْ ؟ قال سائر المؤذنين على قدر أعمالهم » .

أخرج الطبرانى ، والبزار ، والحاكم وصححه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء .

وأخرج أحمد ، والترمذى وحسنه ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا » .

وأخرج مسلم عن ابن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن فقراء أمتى يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا » .

وأخرجه الطبرانى وزاد : « فقيل : صِفْهُمْ لنا » فقال : « المدنسة ثيابهم ، الشعثة رءوسهم ، الذين لايؤذن لهم على السدات ، ولا ينكحون المتنعمات ، يعطون كل الذى عليهم ، ولا يعطون كل الذى لهم » .

وأخرج أحمد ، والترمذى وحسنه ، عن أبى سعيد الخدرى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أبشروا — يامعاشر الصعاليك — تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام » .

وأخرج الترمذى عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة » فقالت عائشة : لم يارسول الله ؟ قال : « إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا » .

وأخرج ابنُ المبارك ، عن سعيد بن المسيب : أن رجلا قال : يارسول الله ، أخبرنى بجلساء الله يوم القيامة ؟

قال : الخائفون ، الخاضعون ، المتواضعون ، الذاكرون الله كثيرا .

قال : يارسول الله ، أفهم أول الناس يدخلون الجنة ؟ قال : لا .

قال : فمن أول الناس يدخلون الجنة ؟

قال : الفقراء ، يسبقون الناس إلى الجنة ، فيخرج إليهم منها ملائكة ، فيقولون: ارجعوا إلى الحساب ، فيقولون : على ما نحاسب ؟ والله ما أفيضت علينا الأموال فى الدنيا فنقبض منها ونبسط ، وما كنا أمراء نعدل ونجور ، ولكنا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين » .

وأخرج الترمذى ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم وصححه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرض علىَّ أول ثلاثة يدخلون الجنة ، فالشهيد ، وعبد مملوك ، أحسن عبادة ربه و نصح لسيده ، وعفيف متعفف ذو عيال .

وأما أول ثلاثة يدخلون النار ، فأمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يعطى حق الله في ماله ، وفقير فخور » .

وأخرج مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله : « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة ، رجل يخرج من النار حَبْوًا فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع ، فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : إذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع ، فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيرجع فيقول له الله : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع ، فيقول : يارب وجدتها ملأى فيقول الله اذهب فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها فيقول : أتسخر بى وأنت الملك ؟ .

فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجده ، فكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة .

وأخرج مسلم أيضاً عن ابن مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آخر من يدخل الجنة ، رجل ، فهو يمشى مرة ، ويكبو أخرى ، وتسفعه النار مرة ، فإذا جاوزها ، التفت إليها فقال : تبارك الذى نجانى منك لقد أعطانى الله شيئاً ماأعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترفع له شجرة فيقول : أى رب ، أدننى من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها ، فيقول الله : يابن آدم : لعلى إن أعطيتكها ، أتسألنى غيرها ؟ فيقول : لا يارب ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها . فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى ، فيقول : أى رب أدننى من هذه الشجرة لأشرب من مائها ، وأستظل بظلها ، لا أسألك غيرها . فيقول : يا ابن آدم ، ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ؟ فيدنيه منها ، ثم ترفع له شجرة عند باب

الجنة هى أحسن من الأولين ، فيقول : أى رب ، أدننى من هذه لا أسألك غيرها ، فيقول : ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ؟ فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أى رب ، أدخلنيها ، فيقول : أيرضيك إن أعطيتك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب أتستهزىء بى وأنت رب العالمين ؟ فيقول : إنى لاأستهزىء منك ، ولكنى على ما أشاء قادر .

﴿ فصل ﴾

قد علم مما تقدم من الأحاديث أن سبق الناس إلى دخول الجنة متفاوت على قدر أعمالهم وأحوالهم ومقاماتهم .

نظير ذلك، ما ورد فى تفاوتهم حال مرورهم على الصراط .

كما أخرج الإمام أحمد من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لجهنم جسراً أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ، عليه كلاليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ، والناس كالطرف ، وكالبرق ، وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ، والملائكة يقولون : رب سلم سلم ، فناج مسلم ، ومخدوش مسلم ، ومكور فى النار على وجهه .

وأخرج هناد عن ابن مسعود قال:يأمر الله بالصراط ، فيضرب على جهنم ، فيمر الناس على قدر أعمالهم ، أولهم كلمح البصر ، ثم كمر الريح ثم كأسرع البهائم ، ثم كذلك ، حتى يمر الرجل سعيا ، ثم يمر الرجل مشياً ، ثم يكون آخرهم يتلبط على بطنه يقول : رب لِمَ أبطأت بى ؟ فيقول : لم أُبطىء بك ، وإنما أبطأ بك عملك » .

قال فى « اللطائف » : كان رأس السابقين من هذه الأمة أبا بكر الصديق .
قال عمر رضى الله عنه : ما استبقنا إلى شىء من الخيرات ، إلا سبق أبو بكر ،

ثم كان السابق بعده إلى الخيرات عمر العالى الهمة ، يجتهد فى نيل مطلوبه وسعه فى الوصول إلى رضى محبوبه .

فأما خسيس الهمة ، فاجتهاده فى متابعة هواه ، ويتكل على مجرد العفو ، فتفوته إذا حصل له العفو ، منازل السابقين المقربين .

قال بعض السلف : هب أن المسىء عُفِيَ عنه ، أليس قد فاته ثواب المحسنين ؟ شعراً .

فيا مذنباً يرجو من الله عفوه أترضى بسبق المتقين إلى الله ؟

لما تنافس المتنافسون فى نيل الدرجات ، غبط بعضهم بعضا بالأعمال الصالحات قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله ما لا فهو ينفقه فى سبيل الله ، آناءالليل وآناء النهار : ورجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار » وهذا الحديث فى الصحيحين .

العاقل يغبط من أنفق أمواله فى سبيل الخيرات ، ونيل عُلُوِّ الدرجات ، والجاهل يغبط من أنفق ماله فى الشهوات ، وتوصل به إلى اللذات المحرمات .

قال تعالى ـ حاكياً عن قارون ـ « فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا : يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُوحَظٍّ عَظِيم وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا . » إلى قوله : « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

واعلم أن من عجز عن عمل خير ، وتأسف عليه ، وتمنى حصوله ، كان شريكا لفاعله فى الأجر .

كان أرباب الهمم العالية لايرضون بمجرد هذه المشاركة ويطلبون أن يعملوا أعمالا لا تقاوم الأعمال التى عجزوا عنها ليفوزوا بثواب قيام تلك الأعمال ، ويضاعف لأولئك ، فيستوواهم وأولئك العمال فى الأجر كله .

وقد كان بعض من يقعد عن الجهاد ، من امرأة ، وضعيف فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم يسأله من عمل يعدل الجهاد .

وفات بعض النساء الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم ، سألته عما يجزى عن تلك الحجة ، قال : « عمرة فى رمضان ، تعدل حجة معى » .

وكان منهم ، من إذا تخلف عن الغزو ، اجتهد فى مشاركة الغزاة فى أجرهم .

فإما أن يخرج مكانه رجلا بماله ، و إما أن يعين غازيا ، و إما أن يخلفه فى أهله بخير ، فإن من فعل هذا كله ، فقد غزا .

تصدق بعض الأغنياء بمال كثير ، فبلغ ذلك طائفة من الصالحين ، فاجتمعوا فى مكان وحسبوا ما تصدق به من الدراهم ، وصلوا بدل كل درهم ، تصدق به ركعة .

هكذا يكون استباق الخيرات ، والتنافس فى علو الدرجات (شعراً) :

كذاك الفخر ياهمم الرجال تَعَالَىْ فا نظرى كيف التعالى

اللهم وفقنا لمـا ترضى به عنا ، ومن فضلك الجزيل فلا تحرمنا ، و بذلِّ معصيتك فلا تخذلنا ، إنك جواد كريم ، وأرضنا وارض عنا ، يارءوف يارحيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين . آمين .

﴿ خاتمة فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال ﴾

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين ، ثم يعيده إليه ، ثم يخرجه منه فهو المبدىء المعيد ، نسل من مائع السلالة نسل الحيوان وركبه فى الإيجاد كما يريد ، « خص بكمال العقل من اصطفى من العبيد * ووضع من خذله بمشئيته ، فهو عن طريق الحق يحيد ، قدر على خلقه ما أراد فلا يخرج أحد عما يريد * هؤلاء ملوك

وهؤلاء عبيده ، وحكم على كلٍّ بما أراد ، فهذا شقىٌّ ، وهذا سعيد ، فسبحان من ليس فى فعله ترديد ، أحمده حمداً أرجو به من نعمه المزيد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة عليها أموت وأبعث من أهل التوحيد .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله السيد المختار المصطفى الرشيد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولى الرأى السديد ، وسلم تسليما .

إعلم أن الله عز وجل ذكر نعيم الجنة مبسوطا فى مواضع من القرآن ، ثم جمعه فى آيات منها قوله تعالى : « لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً » وقوله عز وجل : «أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ» وقوله جل ذكره : « فِيهَا مَاتَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُن » فهذه الآيات الثلاث جمعت كل نعيم . وقال تعالى : « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْينٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

قال فى «حادى الأرواح» : فتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم ، مما لاتعلمه نفس ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حتى يقوموا إلى صلاة الليل ، بقُرَّة الأعين فى الجنة .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعددت لعبادى الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »

مصداق ذلك فى كتاب الله تعالى : « فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ماأُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُن جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

وفى معجم الطبرانى من حديث بقية عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله جنة عدن ، خلق فيها

مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها تكلمى ، فقالت : « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى وطبقهما بلؤلؤة واحدة ، لا يعلم الخلائق مافيهما وهما اللتان قال الله فيهما : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاأُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

وذكر صفوان ابن عمرو عن بعض مشائخه قال : للجنة مائة درجة .

أولها : درجة فضة ، وأرضها فضة ، ومساكنها فضة ، وترابها المسك .

والثانية : ذهب ، وأرضها ذهب ، وأبنيتها ذهب وترابها المسك .

وسبع وتسعون بعد ذلك ، مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ثم تلا قوله تعالى : «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاأُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ »

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها ، إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها لكفاها شرفا وفضلا ، كما فى سنن أبى داود من حديث سليمان بن معاذ ، عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » .

وكيف يقدر قَدْرَ دار غرسها الله بيده ، وجعلها مقراً لأحبابه ، وحلاَّها من كرامته ورحمته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، ومُلْكها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ؟ !

فإن سألت عن أرضها وتربتها ، فهى المسك والزعفران .

وإن سألت عن سقفها ، فهو عرش الرحمن .

وإن سألت عن مِلَاطِها ، فهو المسك الأذفر .

وإن سألت عن حصبائها ، فهو اللؤلؤ والجوهر .

وإن سألت عن بنائها ، فَلِبنة من فضة ولَبِنَة من ذهب .

وإن سألت عن أشجارها ، فما فيها شجرة إلا ساقها من ذهبٍ أو فضة ، لا من الحطب والخشب .

وإن سألت عن ثمرها ، فأمثال القلال . ألين من الزُّبْدِ وأحلى من العسل .

وإن سألت عن ورقها ، فأحسن مايكون من رقائق الحلل .

وإن سألت عن أنهارها ، فأنهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمه ، وأنهار من خَمْرٍ لذَّةٍ للشاربين ، وأنهار من عسل مُصَفًّى ، وأنهار من ماء غير آسن .

وإن سألت عن طعامهم ، ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون .

وإن سألت عن شرابهم ، فالتسنيم والزنجبيل ، والكافور .

وإن سألت عن آنيتهم ، فآنية الذهب والفضة ، فى صفاء القوارير .

وإن سألت عن سعة أبوابها ، فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام .

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها ، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها .

وإن سألت عن ظلها ، ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجِدُّ السريع فى ظلها ، مائة عام لا يقطعها .

وإن سألت عن سعتها ، فأدنى أهلها يسير فى ملكه ، وسرره ، وقصوره ، وبساتينه ، مسيرة أَلْفَيْ عام لا يقطعها .

وإن سألت عن خيامها وقبابها ، فالخيمة الواحدة من دُرَّةٍ مجوفة ، طولها ستون ميلا من جملة الخيام .

وإن سألت عن علاليها وجواسقها ، فهى غرف من فوقها غرف مبنية ، تجرى من تحتها الأنهار .

وإن سألت عن ارتفاعها ، فانظر إلى الكوكب الطالع والغارب فى الأفق الذى لا تناله الأبصار

وإن سألت عن لباس أهلها ، فهو الحرير والذهب .

وإن سألت عن فرشهم ، فبطائنها من إستبرق مفروشة فى أعلى الرتب .

وإن سألت عن أرائكها ، فهى البشخانات ، وهى الحجال ، مزررة بأزرار الذهب ، فما لها من فروج ولا خلال .

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم ، فعلى صورة القمر .

وإن سألت عن أسنانهم ، فأبنـــاء ثلاث وثلاثين ، على صورة آدم أبى البشر .

وإن سألت عن سماعهم ، فغناء أزواجهم من الحور العين ، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين ، وأعلى منهما ، سماع خطاب رب العالمين .

وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها ، فنجائب أنشأها الله مما شاء ، تسير بهم حيث شاءوا من الجنان .

وإن سألت عن حُلِيِّهم ، فأساور الذهب واللؤلؤ ، وعلى الرءوس ملابس التيجان .

وإن سألت عن غلمانهم ، فولدان مخلدون ، كأنهم لؤلؤ مكنون .

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم ، فهن الكواعب والأتراب ، اللاتى جرى فى أغصانهن ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما كسته الخدود ، وللرمان ماتضمنته النهود ، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللدقة واللطافة مادارت عليه الخصور ، تجرى الشمس فى محاسن وجهها إذا برزت ، ويضىء البرق من بين ثنـاياها إذا ابتسمت .

إذا قابلت حِبَّها ، فقل ماشئت فى تقابل النيرين ، وإن حادثته ، فما ظنك بمحادثة الحبيبين ؟

وإن ضمها إليه ، فما ظنك بتعانق الغصنين ؟ !

يرى وجهه فى صحن خدها ، كما يرى فى المرآة التى جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها .

لو اطلعت على الدنيا ، لملأت مابين السماء والأرض ريحا ، ولا استنقطت أفواه الخلائق تهليـــلا وتكبيرا وتسبيحا ، ولتزخرف لها مابين الخافقين ولأغمضت من غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس ، كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم .

نصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها .

ولا تزداد – على تطاول الأحقاب – إلا حسنا وجمالا ، ولا يزداد لها – على طول المدى – إلا محبة ووصالا ، مبرأة من الحبل والولادة ، والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس .

لايفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ، ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يُمَلُّ طيب وصالها .

قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح إلى أحد سواه ، وقصر طَرْفُه عليها ، فهى غاية أمنيته وهواه

إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته

فهو معها فى غاية الأمانى والأمان ، ولم يطمثها قبله إنس ولا جان

كلما نظر إليها ، ملأت قلبـــه سرورا ، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً ، وإذا برزت ، ملأت القصر والغرفة نورا

وإن سألت عن السِّن ، فأتراب فى أعدل سن الشباب

وإن سألت عن الحسن ، فهل رأيت الشمس والقمر ؟!

وإن سألت عن الحدق ، فأحسن سوادٍ فى أصفى بياض ، فى أحسن حَوَرٍ

وإن سألت عن القدود ، فهل رأيث أحسن الأغصان ؟

وإن سألت عن النهود ، فهى الكواعب ، نهودهن كألطف الرمان

وإن سألت عن اللون ، فكأنهن الياقوت والمرجان .

وإن سألت عن حسن الخلق ، فهن الخيرات الحسان اللاتى جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الظاهر والباطن ، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر .

وإن سألت عن العشرة ولذة ما هناك ، فهن الْعُرُبُ المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل الذى يمتزج بالروح أىَّ امتزاج .

فما ظَنُّك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ؟ !

وإذا انتقلت من قصر إلى قصر ، قُلْتَ : هذه الشمس منتقلة فى بروج فلكها ، وإذا حاضرت زوجها ، فياحسن تلك المحاضرة ، وإذا خاصرته ، فيالذة تلك المعانقة والمخاصرة (شعر)

وحديثها السحر الحلال وإنه ‌ ‌ ‌ لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يملل وإن هى حدثت ‌ ‌ ‌ ودَّ المحدَّثُ أنها لم تُوجِزِ

فإن غنَّتْ فيالذة الأبصار والأسماع ، وإن أنست وأصغت فياحبذا تلك المؤانسة والإيصاغ(١) وإن قبَّلَتْ فلا أشهى إليه من ذلك التقبيل ، وإن نوَّلتْ ، فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل .

هذا وإن سألت عن يوم المزيد ، وزيارة العزيز الحميد ، ورؤية وجهه المنزه عن التشبيه والتمثيل ، كما ترى الشمس فى الظهيرة ، والقمر ليلة البدر ، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه ، وذلك موجود فى الصحاح والسنن والمسانيد ، من رواية جرير ، وصهيب ، وأنس ، وأبى هريرة ، وأبى موسى ، وأبى سعيد .

فاستمع يوم ينادى المنادى : « يا أهل الجنة : إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم ، فحىَّ على زيارته .

فيقولون : سمعاً وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين .

---

(١) والإيصاغ هكذا فى الأصل ولعل الصواب : الإصغاء .

فإذا بالنجائب قد أُعِدَّتْ لهم ، فيستوون على ظهورها مسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيح ، الذى جعل لهم موعدا ، وجمعوا هناك ، فلم يغادر ، الداعى منهم أحدًا ، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ، ثم نصبت لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، وجلس أدناهم – وحاشاهم من الدنايا – على كثبان المسك ، ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا .

حتى إذا استقرت بهم مجالسهم ، واطمأنت بهم أماكنهم ، نادى المنادى :

يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدًا ، يريد أن ينجزكموه .

فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ، ويثقل موازيننا ، ويدخلنا الجنة ، ويزحزحنا عن النار ؟

فبيناهم كذلك إذْ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رءوسهم ، فإذا الجبار جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ، قد أشرف عليهم وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم .

فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام .

فيتجلَّى لهم الربُّ تبارك وتعالى يضحك إليهم فيقول :

يا أهل الجنة ، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى :

أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ، ولم يرونى ؟ فهذا يوم المزيد .

فيجتمعون على كلمة واحدة : أن قد رضينا ، فارض عنا ، فيقول :

يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم ، لم أسكنكم جنَّتى ، هذا يوم المزيد فاسألونى .

فيجتمعون على كلمة واحدة .

أرنا وجهك ، ننظر إليك .

فيكشف الرب جل جلاله الحجب ، ويتجلَّى لهم ، فيغشاهم من نوره ، مالولا أن الله سبحانه قضى أن لا يحترقوا ، لا حترقوا .

ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه محاضرة ، حتى إنه ليقول : يا فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ يذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول:

يارب أَلَمْ تغفر لى ؟

فيقول : بلى، بمغفرتى بلغت منزلتك هذه .

فيالذة الأسماع بتلك المحاضرة ، و ياقرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة ، و ياذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ، « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ » (شعر)

فَحَىِّ على جنات عَدْنٍ فإنها منازلك الأولى وفيها المخَيَّمُ
ولكننا سَبْىُ الْعَدُوِّ فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونُسَلَّمُ ؟

اللهم نجنا برحمتك من النار ، وعافنا من دار الخِزْىِ والبوار ، وأدخلنا ـ بفضلك ـ الجنة دار القرار ، وعاملنا بكرمك ومغفرتك يا كريم ياغفار .

اللهم إنا نسألك برحمتك التى ابتدأت بها الطائعين حتى قاموا بطاعتهم ، أن تَمُنَّ بها على العاصين بعد معصيتهم .

اللهم ارحم عباداً غرَّهم طول إمهالك ، وأطمعهم دوام إفضالك * ومدُّوا أيديهم إلى كرم نَوَالِكَ * وتيقنوا أن لا غِنَى لهم عن سؤالك .

اللهم جُدْ علينا بكرمك ، وأَفِضْ علينا من نعمك ، ووفقنا لخدمتك ، وعاملنا بغفرانك ، وامنن علينا بإحسانك ، واجعلنا من الذين أنعمت عليهم فى دار رضوانك ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

قال مؤلفه وجامعه ـ غفر الله له ـ : وهذا آخر ما أراد الله تعالى جمعه من كتاب « حادى الأنام إلى دار السلام » جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ونفع به جامعه وكاتبه ، وقارئه ، وسامعه ، وأجارهم من عذاب الجحيم ، برحمته وكرمه ، إنه أكرم كريم ، وأرحم رحيم . والحمد لله رب العالمين ؛ آمين .



وظائف العشر الاواخر
من شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الفصل الأول ﴾

﴿ فى فضل العشر الأواخر من رمضان ﴾

الحمد لله اللطيف الرءوف العظيم المنّان ، الغنى القوى السلطان ، الحليم الكريم الرحيم الرحمن ، الكبير القديم الدّيان ، الأوّل فلا سَبْقَ لسبقه ، المنعم فما قام مخلوق بحقه ، الموالى بفضله على جميع خلقه ، على توالى الزّمان ، أنعم على هذه الأمة بتمام إحسانه ، وعاد عليها بفضله وامتنانه ، وجعل شهرها مخصوصاً بعميم غفرانه ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، يُعزّ ويُذل ويُفقر ويُغنى ، ويسعد ويشقى ويبقى ويفنى ، ويشين ويزين وينقض ويبنى ، كل يوم هو فى شأن .

أحمده على ما خصّنا به من الصيام والقيام ، وأشكره على بلوغ الآمال وسبوغ الإنعام .

وأشهد أن لا إله إلا الله الذى لا تحيط به العقول والأذهان ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، الذى انشق ليلة ولادته الإيوان ، صلى الله عليه وعلى أبى بكر رفيقه فى الغار ، وعلى عمر فتاح الأمصار ، وعلى عثمان شهيد الدار ، وعلى علىّ راسخ الإيمان ، وعلى سائر الآل والأصحاب على توالى الزّمان ، وسلم تسليما .

عباد الله إن عشركم هذا هو العشر الأخيرة ، وفيه الخيرات والأجور الكثيرة ، تكملُ فيه الفضائل وتتم فيه المفاخر ، ويطّلعُ على عباده الربُّ العظيمُ القادر ، ويُنيلُهُمْ الثواب الجزيل والحظ الوافر ، فيه تزكو الأعمال ، وتنال الآمال ،

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسهر ليـله ، ويَحْمِلُ كله ، ويقوم فيه الليل كله ، فالسعيد من أكرمه وأجله ، والبعيد من أهانه واستقله .

واعلموا رحمكم الله أن هذا العشر قد أوجب الله عليكم تعظيمه واحترامه ، وأجزل الثواب لمن أحيا ليله وقامه ، فانتبهوا رحمكم الله واهجروا لذيذ المنام ، واحذروا من الغفلة فى هذه الليالى والأيام ، وخذوا قدر البلغة من الطعام هذا عشر محو الذنوب ، هذا عشر حياة القلوب ، هذا وقت تلاوة الـكتاب ، هذا وقت عمارة المحراب ، هذا عشر فيه تـكف النفوس ، كأنها فى حبوس ، وتطرق من الخشيةِ الرُّءوس ، عن النظر إلى الحرام ، عشر تملأ فيه المساجد ، ويخشع فيه الراكع والساجد ، وينهضُ إلى الخيرات كلٌّ قاعدٍ ، ويصير الراغب كالزاهد ، من قلة الطعام ، عشر التعبد والتراويح ، عشر المتجر الربيح ، عشر يترك فيه القبيح ، وتهجر الآثام ، فيه تصحُّ الأمور ، فيه تراق الخمور ، فيه تتعطل الزمور ، فيه تنحنى الظهور من القيام ، فيه تغل الشياطين ، فيه يعرف قدر الدين ، فيه يتشبه المسيىء بالمحسنين ، وبالـكبير العاقل الغلام ، فيه ترِقُّ القلوب ، فيه يغفر الذنوب ، وتتجافى عن المضاجع الجنوب ، فتجفو لذيذ المنام ، فيه تقل الفضول ، فيه تحفظ الأصول ، فيه يتمنى العاقل ويقول : ليت هذا العشر دام ، ففارقوا رحمكم الله فيه المـألوف ، فإنه عشر بالخيرات معروف ، فطوبى ثم طوبى لمن صام وقام ، وأيقظوا رحمكم الله فيه الأسماع والأبصار ، واحبسوا فيـه عن الفضول اللسان المهذار ، وانهضوا للاستغفار وقت الأسحار ، واعجباً لمن ينام ، لازموا المساجد وتزودوا ، واجتمعوا على الفـلاح والخير ولا تبـدَّدوا ، وتصبروا عن الخطايا وتشددوا ، فإنمـا هى أيام ، وأخلصوا التوبة على ترك القبـائح فى السنة ، واعملوا ما يصلح للضرايح ، فإلى كم سنة ؟! هذا ما يقول لـكم الناصح والسلام .

فالفضائل فى هذه العشر كثيرة ، والمصالح وافرة غزيرة ؛ فالسعيد من عمل

وقبل ، والشقى من طرد وخذل ، ومن الفضائل فيه إطعام الطعام وتفطير الصوام ، فإنه قد ورد عن خير الأنام ، من فطر صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم هذا العشر على باقى الشهر ، فكان صلى الله عليه وسلم يخصها بالاعتكاف ، والقيام والاغتسال كل ليلة بين العشاءين والتنظف والتطيب وإحياء الليل كله .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره ، وأحيى ليله ، وأيقظ أهله .

وعنه صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يخلط العشرين الأول بصلاة ونوم ، فإذا دخل العشر لم يذق غمضاً ، وطوى فراشه ، واعتزل نسائه ، وأحيا الليل كله .

فبادروا عبادالله بالتوبة والاستغفار والابتهال إلى ذى الجلال والإفضال ، واغسلوا بالدمع درن الذنوب قبل أن تفتضحوا بالعيوب ، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فى ثلث الليل الأخير وذلك كل ليلة فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟

واعلموا رحمكم الله أن شهر رمضان فيه يزوج الصائمون والقائمون ، وفى الحديث « إن الجنة لتزخرف وتجدد من الحول إلى الحول لدخول رمضان فتقول الحور : يارب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجاً ، تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا »

كان بعض الصالحين كثير التهجد والصيام ، فصلى ليلة فى المسجد ودعا فنامت

عيناه ، فرأى فى منامه جماعة علم أنهم ليسوا من الآدميين ، بأيديهم أطباق عليها أرغفة كبياض الثلج ، فوق كل رغيف دُرٌّ كأمثال الرمان ، فقالوا : كل . فقلت : إنى أريد الصيام ، فقالوا له : يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل ، قال : فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لأحمله ، فقالوا : دعه نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا ، قال : أين ؟ قالوا : فى دار لاتخرب ، وثمر لايتغير ، وملك لاينقطع ، وثياب لاتبلى،فيها رضوى وعينا وقرةأزواج راضيات مرضيات ، لايَغِرْن ولا يُغَرْن ، فعليك بالانكماش فيما أنت فيه ، فإنما هى غفوة حتى ترتحل وتنزل الدار ، فما مكث بعد هذه الرؤيا إلا جمعة حتى توفى ، فرآه ليلة وفاته فى المنام بعض أصحابه الذى حدثهم برؤياه وهويقول : ألا تعجب من شجر غرس يوم حدثتك قد حمل ؟ فقال له : ماحمل ؟ قال : لاتسأل ، لايقدر أحد على صفته ، لم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع .

يارجال الليل جدوا رُبَّ داعٍ لايُرَدُّ
مايقوم الليـــل إلا من له عزم وجِــدُّ

ياليلة القدر ، للعابدين اشهدى

ياأقدام القائمين ، اركعى لربك واسجدى

يا ألسنة السائلين ، جُدِّى فى المسألة واجتهدى :

تيقظ بساعات من الليل يافتى لعلك تحظى فى الجنان بحورها
فتنعم فى دار يدوم نعيمهـــا محمـــد فيها والخليل بِدُورِهاَ
يانفس فاز الصالحون بالتقى وأبصروا الحق وقلبى قد عمى
ياحسنهم والليل قد أجنَّهُمْ ونورهم يفوق نور الأنجم
ترَنموا فى الذكر فى ليلهم فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم للذكر قد تفرغت دموعهم كلؤلؤ منتظم

أسحارهم بهم قـــد أشرقت وخلع الغفران خـــير القسم
ويحك يانفس ألا تيقَّظى ينفع قبـــل أن تَزِلَّ قدمى
مضى الزمان فى تَوَانٍ وهوى فاستدركى ما فات واغتنمى

اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة ، ووفقنا للتزود قبل النقلة ، وألهمنا اغتنام الزمان وقت المهلة .

اللهم الطف بنا فى قضائك ، وهب لنا ماوهبته لأوليائك ، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك ، يا أرحم الراحمين .

﴿ الفصل الثانى ﴾

﴿ فى الأمر بالاجتهاد فى العشر الأواخر ﴾

الحمد لله خالق الخلق كلهم من تراب ، وفارق بينهم فى المعانى والآداب ، رفع عن أبصار بصائر الأولياء الحجاب ، وأشهدهم ماخفى عن غيرهم وغاب ، فهم على باب الدلالة للخلق على الباب ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب ، وشغل الجهال الطغام بالطعام والشراب ، فهم فى جمع الحطام بين المجىء والذهاب ، يعمرون بالشهوات أجسامهم والقلوب فى خراب ، وما ابيضَّ لهم عارض حتى اسودَّ الكتاب ، فإذا عاينوا تفريطهم عند الموت بان المرتاب ، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب .

أحمده على كل ماعرض وناب ، وأُقِرُّ بوحدانيته من غير شك ولا ارتياب ، وأصلى على رسوله محمد الذى عرج به فكان قاب ، صلى الله عليه ، وعلى أبى بكر

السابق إلى الفضائل ولا سبق العراب ، وعلى العادل عمر بن الخطاب ، وعلى عثمان منفق المال على الإسلام بغير حساب ، وعلى ابن عمه وزوج بضعته علىّ لب اللباب ، وعلى بقية الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب ، وسلم تسليما .

عباد الله : إن عشر رمضان قد نزل ببركاته إليكم ، وأشرف بفضله وشرفه وبركته عليكم ، فتأهبوا لِتَلَقِّيهِ بالعزم الصادق على الخير ، واجعلوا هممكم مصروفة إلى حراسته لاغير ، فإنه عشر بالبركات الوافرة قدحُفَّ ، وبالكرامة الظاهرة قد زُفَّ ، عشر تربح فيه بضائع العباد ، وتغنم فيه عبادة الزهاد ، وتستقيم فيه صفوف الجهاد ، ويحسن فيه الاجتهاد ، عشر فيه يعتق الأسير ، ويجبر فيه الكسير ، وتحضر القلوب وينفع التحذير ويستقيم فيه قدم العابد ، ويقل التعثير ، فأعدوا لقدومه عدة ، واسألوا الله فيه التوفيق إلى أن تكملوا العدة ، والحذر الحذر من التفريط والإهمال ، والتكاسل فيه عن صالح الأعمال ، فهمة الصالحين القراءة والقيام ، والكفُّ عن فضول الكلام ، والسلامة من جميع الآثام ، والاشتغال بذكر الملك العلام ، فالسعيد من اغتنم موسم العمر قبل ذهابه ، وحاسب نفسه قبل قراءة كتابه ، وراقب مولاه مراقبة من يعلم أنه يراه فى ذهابه وإيابه ، أين اللائذ بالجنات ؟ أين الواقف على الباب ؟ أين الباكى على ماجنى ؟ أين المستعف لأمر قد دنا ؟ ألا رُبَّ فرِح بما يؤتى قد خرج اسمه فى الموتى ، أين المعتذر مما جناه ، قد اطلع عليه مولاه :

تعالوا كل من حضرا لنطرق بابه سحرا
ونبكى كلنا أسفا على من بات قد هُجِرَا

وفى الحديث : إن الحور تنادى فى شهر مضان : هل من خاطب إلى الله فيزوجه؟ مهور الحور طول التهجد ، ياقوم ألا خاطب فى هذا العشر إلى الرحمن ؟ ألا راغب فيما أعدَّ الله للطائعين فى الجنان ؟ (شعراً) :

من يرد ملك الجنان فَلْيَدَعْ عنه التوانى
وليقم فى ظلمة الليل إلى نور القران
وَلْيَصِلْ صوماً بصوم إن هذا العيش فان
إنما العيش جوار الله فى دار الأمان

عباد الله : قد ذهب عنكم أكثر شهر رمضان ، وأنتم اليوم فى العشر الحسان ، وهى عشر الإعتاق من النيران ، لمن ترك الذنوب واستحيي من رقيبه ، يقول الله تعالى : « الصوم لى وأنا أجزى به » ، عشر أقبل على المقبولين بتكثير الأجور ، وعلى الصادقين بتوفير النور ، وعلى المتقين بالفرح والسرور ، وعلى التائبين بتقويم الأمور ، وعلى العامل بتيكمل نصيبه .

الصوم لى ، وأنا أجزى به .

عشر يتم فيه الإسعادوالتكريم ، ويتفضل بجزيل الإنعام، الملك الكريم ،ويصفد فيه كل شيطان رجيم ، ويعافى فيه مريض الخطايا السقيم ، إذا امتثل أمر طبيبه .

الصوم لى، وأنا أجزى به .

عشر فيه تتوفر العطايا والمنح ، ويتم للعابد فيه الثواب والفرح ، ويغفر للعاصى فيه كل ماجنى واجترح ، ويعاد فيه على كل من أصلح وصلح ، بإدنائه وتقريبه .

الصوم لى ، وأنا أجزى به .

عشر فيه الأحباب بالدعاء يَعِجُّون ، وبالتضرع فى جميع أوقاتهم يَضِجُّون ، وفى نهارهمْ عن الغفلات يتحرجون ، وفى دياجيه للمولى الكريم يناجون ، وبآمالهم إلى سيدهم يلتجئون، إذا سكنْ كل حبيب إلى حبيبه .

الصوم لى، وأنا أجزى به .

عشر يعفو فيه عن عباده الرءوف الرحيم ، فاحفظوه لعله يحلكم جنات النعيم ويقيكم فى القيامة هول الجحيم ، إذا انزعجت القلوب لهيبة لهيبه ، لقد سعد من اتقى ونجا ، ولقد نال مأمول الغفران فيه من رجا ، ولقد تمّ فيه حال من أفطر فيه والتجا وتسحر فى جوف الليل وظلمة الدجا ، ببكائه ونحيبه .

الصوم لى ، وأنا أجزى به .

فصححوا ـ رحمكم الله ـ فيه الفروض والنوافل ، واحترسوا من الغفلات القواتل ، وتيقظوا فيه قبل لحاق الأواخر بالأوائل ، واعتذروا فى هذه الليالى والأيام القلائل ، قبل أن يُرَدَّ اعتذار العاصى بتكذيبه ، واحذروا غيبة الناس ، فإنها تحبط الأجر ، وجانبوا أكل الحرام ، فإنه سبب الطرد والهجر ، وعظموا عشركم فإنه عظيم الأمر ، وانتظروا فيه بحسن اليقظة لليلة القدر ، فإنها غريبة غريبه وعجيبة عجيبه ، وإياكم فيه وفضول النظر والكلام ، واجتهدوا بالصلاة والقيام ، فإذا سلم رمضان سلم جميع العام ، عساه يقيك شر الوقوف على الأقدام ، يوم يفر المرء من أخيه ، والنسيب من نسيبه .

الصوم لى ، وأنا أجزى به .

عباد الله :

أين القلوب الحاضرة ؟ أين البصائر الناظرة ؟ إلى متى الفهوم قاصرة ؟ إلى متى الصفقة خاسرة ، إلى متى تنسى الآخرة ؟ من لكم إذا فات المقصود ؟ من لكم إذا نطقت الجلود ؟ من لكم إذا شاب المولود ؟ من لكم إذا غضب المعبود ؟ من لكم إذا قل السالم ؟ من لكم إذا تعلق المظلوم بالظالم ؟ من لكم إذا خرس اللسان ؟ من لكم إذا وضع الميزان ؟ من لكم إذا بدت النيران ؟ الملك يومئذ الحق للرحمن .

فبادروا ـ رحمكم الله ـ مابقى من شهركم، فإنه مغتنم واستدركوا مافات منه بالحسرة والندم ، فمن أصلح مابقى واستدرك مامضى ، نال الفوز والرضى ، ومن أفسد بالمعاصى أيام عشره ، ندم يوم الأخذ بالنواصى يوم حشره .

فبادر صحتك واغتنمها ، واحفظ مجاهدتك فى الطاعة والتزمها ، كم فى المقابر مُتَمَنٍّ لقاء هذا العشر فما لقيه ، صدّه عند سهم الموت فما وقيه .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : رحم الله امرأً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح فى وجهها المـاء .

ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبى، نضحت فى وجهه الماء .

وكانت امرأة حبيب العجمى تقول له بالليل : قد ذهب الليل و بين أيدينا طريق بعيدة ، وزادنا قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا .

وقالت امرأة حسان بن أبى سنان : كان زوجى إذا أوى إلى فراشه يغادعنى كما تغادع المرأة ولدها ، أى يشاغلنى و يظهر النوم وليس بنائم ، فإذا علم أنى قد غبت، سلّ نفسه وقام إلى الصلاة إلى الصباح .

فقلت له فى بعض الليالى : كم تحرم نفسك النوم ، ارفق بنفسك ؟ !

فيقول : أسكتى ، يوشك أن أرقد رقدة لاأستفيق منها إلى يوم القيامة

وكانت امرأة من المتعبدات تقول : عجبت لعين تنام وقد علمت طول الرقاد تحت أطباق الثرى ، هذا جدهم واجتهادهم فى الدهر ، فكيف لاتجتهد أنت فى إحياء ليالى هذا العشر ؟ ! :

إذا ما الليل أقبل كابدوه   فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا   وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

لهم تحت الظلام وهم سجود   أنين منه تنفرج الطلوع

اللهم انظمنا فى سلك الفائزين برضوانك ، واجعلنا من المتقين الذين أعددت لهم فسيح جنانك ، وأدخلنا برحمتك فى دار أمانك ، وعافنا يامولانا فى الدنيا والآخرة من جميع بلياتك، وأجزل لنا من مواهب فضلك وهباتك ، اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ فى فضل ليلة ثلاث وعشرين ﴾

الحمد لله الذى نوّر ـ بجميل هدايته ـ قلوب أهل السعادة ، وطهر ـ بكريم ولايته ـ أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده ، وحرس سرائر المؤمنين فطرد عنها الشيطان وذاده ، ودعاها إلى ماسبق لها من عنايته فأقبلت منقادة ، ووفق من أراد إكرامه فألهمه رشاده ، وخذل من شاء بحكم قهره فجعل حظه بعاده ، فسبحان من أعطى ومنع ، وخفض ورفع ، ووصل وقطع ، ومهد لمن ارتضاه فأحسن مهاده .

أحمده على ماأولى من فضله وأفاده .

وأشهد أن لا إله إلى الله وحده لاشريك له شهادة تتكفل لمن أخلصها بالحسنى وزيادة .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى رفع منار الإسلام وعماده ، صلى الله عليه

وعلى آله وصحبه الذين استخلفهم الله على عباده ودينه وملكهم بلاده ، وأوضح بهم نهج التوحيد وأحكام العبادة ، وسلم تسليما .

عباد الله :

هذه الليلة، هى ليلة ثلاث وعشرين .

وقد قال قوم : إنها ليلة القدر .

وقال ابن مسعود : اطلبوا ليلة القدر فى ثلاث وعشرين .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد والصلاة ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة بالدعاء فيها .

وقال سفيان الثورى : الدعاء فى تلك الليلة أحب إلىّ من الصلاة ، وإذا كان يقرأ ويدعو ويرغب إلى الله فى الدعاء والمسألة ،فلعله موافق . انتهى .

ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التى لا يكثر فيها الدعاء ، وإن قرأ ودعا كان حسناً ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتهجد فى ليالى رمضان ويقرأ قراءة مرتلة ، لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا تعوّذ . فيجمع بين القراءة والصلاة والدعاء والتفكر ، وهذا أفضل الأعمال ، وأكملها فى ليالى العشر وغيرها .

وقد قال الشعبى فى ليلة القدر : ليلها كنهارها .

وقال الشافعى : أستحب أن يكون اجتهاده فى نهارها ، كاجتهاده فى ليلها .

وهذا يقتضى استحباب الاجتهاد فى جميع زمن العشر الأواخر ليلها ونهارها لأن ليلة القدر لا تعلم عينها المحبون تطول عليهم الليالى فيعدونها عداً لانتظار ليالى العشر فى كل عام ، فاذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم، وخدموا محبوبهم ، لو قام المذنبون فى هذه الأسحار ، على أقدام الانكسار ، ورفعوا قصص الاعتذار ، مضمونها

« يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَينَا » لبرز لهم التوقيع عليها « لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين » .

أشكو إلى الله ما قد شكا ... أولادُ يعقوبَ إلى يوسفِ
قد مسَّنى الضرُّ وأنت الذى ... تعلمُ حالى وترى موْقفى
بضاعتى المزجاة محتاجة ... إلى سماح من كريم وفى
فقد أتى المسكين مستمطراً ... جودَك فارحم ذله واعطف
فأوْف كيلى وتصدق على ... هذا المقل البائس الأضعف

أين أرباب القيام ، أين المتهجدون فى جنح الظلام؟ ذهبوا وغابوا فعليهم السلام . لله ما أطيب هذا السهاد ، وما ألذَّ القرب بعد البعاد ، طوبى لعبد انتهب زمانه بأيدى بداره ، ودافع الشهوات وصابر المكاره ، إن بحثت عنه رأيته صائماً نهاره ، وإن سألت عن حاله فقائم أسحاره ، وإن تلمحته فالزفير فى إصعاده ، والدمع فى انحداره ، ولا يتناول من الدنيا إلا قدر اضطراره ، باعها واشترى ما يبقى باختياره ، هل فيكم متشبه بهذا أو على منهاجه ؟ يا حسنه ومصابيح النجوم تزهر ، والناس قد ناموا وهو فى الخيرات يسهر ، فلما قضى ورد الدجا. جلس نخطر على قلبه كيف يموت وكيف يقبر ، وتصور صحائفه كيف تطوى وكيف تنشر ، فهام قلبه فى القلق وتحير ، فطلق الدنيا ثلاثاً وهل يستوطن مَعْبَر ؟

إذا اشتغل اللاهون عنك بلهوهم ... جعلت اشتغالى فيك يا منتهى شغلى
فمن لى بأن ألقاك فى ساعة الرضى ؟
ومن لى بأن ألقاك والكل لى ، من لى ؟

يا هذا بين حالك وحالهم ؛ كما بين وقتك وأوقاتهم .

يا غائباً فى صلاته ، يا شتيت الهم فى جهاته ، يا مشغولا بآفاته عن ذكر وفاته ، يا قليل الزاد مع قرب مماته .

لقد ربح القوم وأنت نائم ، وخبت وفازوا بالغنائم ، يامن هو بالليل راقد وبالنهار هائم ، وغاية ما يشتهى مشاركة البهائم ، نظروا فى عواقب الأمور ، فقبروا أنفسهم قبل القبور ، عرضوا على النفوس ذكر العرض ، فاعترضها القلق ، وتفكروا فى نشر الصحائف فأزعجهم الأرق ، وتذكروا شدة المخاوف فسالت الحدق ، أطار خوف النوم نومهم ، وأطال ذكر العطش الأكبر صومهم ، وهون فكرهم فى القيام بين يدى الله والعتاب نصيبهم ، أما الأجسام فالخوف قد أنحلها ، وأما العقول فالحذر قد أذهلها ، وأما القلوب فالفكر قد أشغلها ، وأما الدموع فالإشفاق قد أرسلها ، وأما الأكف فقد كفت عما ليس لها ، وأما الأعمال فقد والله قَبِلَهَا .

خوانيتهم الخلوات ، و بضائعهم الصلوات ، وأرباحهم الجنات ، عرفوا طريق النجاة ، فوقفوا على قدم الأدب فى المناجاة ، فنال كل منهم ما رجاه ، فلهم عنده أعظم قدر وجاه .

يا من يرحل عن الدنيا كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوى حتى مقدار خردلة ، ويحضر بدنه فى الصلاة فأما القلب فقد أهمله ، كن كيف شئت ونَعِّمْ جسدك فلا بد للدود أن يأكله ، بادر ما بقى من العمر واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن لَا قيمة له .

يا معرضاً عن تدبر القرآن ، ستدرى من يندم يوم الخسران ، استدرك ما فات فى هذا الزمان ، وقم فى الأسحار فللسحر مع الرحمة شأن ، وسَلِ العفو عما سلف وكان ، وناد فى نادى الذل يا صاحب الإحسان .

مولاى جئتك والرجا قد استجار بحسن ظنى ، أبغى فواضلك التى تمحو بها ما كان منى ، فانظر إلىَّ بحق لطفك يا إلهى واعف عنى .

إخوانى : قد وصفت لكم أحوال الصالحين ، وأحوال الخائفين ، فهل أنتم منهم

أو من الغافلين سبحان من قوَّمهم وأصلحهم ، وعاملوه باليسير فأربحهم ، واعتذروا من التقصير فسامحهم ، وقد أثنى عليهم ومدحهم ، إن كنتم تسمعون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، اغتنم القوم الأيام ، واجتنبوا الخطايا والآثام ، وصمتوا عن ردىء الكلام ، فكأنهم ما يسمعون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، كف الأكف عن الفساد ، وهجرت الرءوس الوساد ، وحضر القلب للمناجاة وانقاد ، وأنتم فى سكر الرقاد ، وهم يسجدون ويركعون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، توانيتم وسير القوم حثيث ، وصفت أعمالهم وفعلكم كدر خبيث ، ونصحنا كم ولكن قد ضاع الحديث ، وما أراكم تسمعون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون .

يا رب وفقنا كما وفقت القوم ، وأيقظنا من سنة الغفلة والنوم ، وارزقنا الاستعداد لذلك اليوم ، الذى يربح فيه العاملون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون .

اللهم عاملنا بإحسانك ، وتداركنا بفضلك وامتنانك ، وتولنا برحمتك وغفرانك ، واجعلنا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أللهم دُلَّنا عليك وارحم ذلنا بين يديك ، واجعل رغبتنا فيما لديك ، ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا ؛ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الفصل الرابع ﴾

فى فضل السبع الأواخر من رمضان وليلة القدر

الحمد لله الذى ظهر لأبصار البصائر عياناً ، فامتلأت قلوب عارفيه به إيماناً ، وولهت أفئدة محبيه هيانا ، فعادت تطلب وصله من هجره أماناً ، الحىُّ الباقى فلا يزول ولا يتفانى ، السميع البصير فهو يسمعنا ويرانا ، نحمده على ما منحنا وأولانا ،

ونشكره وكيف لا نشكر مولانا ، ونشهد له بالوحدانية سراً و إعلانا ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله وشجرة الكفر قد فرعت أغصانا ، فقطعها بمجاهدته وزرع من حقائق الإسلام والإيمان بستاناً ، صلى اللهوسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا على الحق أعواناً ، ونزعنا مافى صدورهم من غل إخواناً ، أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم رُكّعاً سُجداً يبتغون فضلا من ربهم ورضواناً ، رزقنا الله محبتهم على الوصف الذى وصانا ، فمنهم أبو بكر الذى يوقد فى قلوب مبغضيه نيراناً ، وعمر الذى جعل لعطاء المسلمين ديواناً ، وعثمان الذى يقطع الليل صلاة وقرآناً ، وعلىّ الذى تهواه معاشر السنة ويهوانا .

عباد الله :

قد أقبلت إليكم ليلة القدر ، ولها أعظم الشرف وأوفى الأجر ، ليلة شرفها الله على غيرها ، ومنّ على عباده بجزيل خيرها ، ليلة أنزل الله فيها القرآن ، وأجزل فيها الإفضال والإحسان ، ووالى اللطف فيها على خلقه والامتنان ، وشرف قدرها على سائر الزمان ، ليلة هى خير الليالى فى الصبر ، ويُعاد فيها على المنكسرين بالجبر ، ليلة لا تشبه ليالى الدهر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليلة يطيب بالخدمة صافيها ، ويسهل من صعبات الأمور تلافيها ، تنزل الملائكة والروح فيها ، فخذ أيها الإنسان من خيرها الحسن ، واهجر لذة النوم وطيب الوسن ، وجاف جنبيك عن مضجعك عساها .

واعلموا أن هذه الليلة ليلة أربع وعشرين ، وهى أول السبع الأواخر .

وقدقال طائفة من العلماء : إنها ليلة القدر ، وممن قال ذلك الحسن البصرى وأهل البصرة كافة .

وروى عن أنس أنه يقول بذلك . وكان حميد الطويل ، وأيوب السختيانى ، وثابت البنانى يحتاطون فيجمعون بين الليلتين ، أعنى ليلة ثلاث وعشرين ، وأربع وعشرين .

وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين »
وقال مجاهد : ليلة القدر ، ليلة أربع وعشرين .

وروى سعيد بن جبير قال : قمنا مع ابن عباس ذات ليلة فى المسجد الحرام فخفق رأسى خفقة فقال: أى ليلة هذه ؟ فقلنا : ليلة أربع وعشرين ، فقال : الليلة ليلة القدر ، رأيت الملائكة نزلوا .

وقد قالت عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم: « أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ فقال: قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى. والعَفُوُّ من أسماء الله تعالى وهو المتجاوز عن سيئات عباده الماحى لأثرها، وهو يحب العفو عن عباده و يحب من عباده إن يعفو بعضهم عن بعض ، فإذا عفى بعضهم عن بعض عاملهم الله بعفوه وعفوه أحب إليه من عقوبته ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، و بعفوك من عقوبتك » .

قال يحيى بن معاذ : لولم يكن العفو أحب الأشياء إليه لم يَبْتَلِ بالذنب أكرم الناس عليه ، يشير إلى أنه ابتلى كثيراً من أوليائه وأحبابه بشىء من الذنوب ليعاملهم بالعفو عنهم .

قال بعض السلف : لو علمت أحب الأعمال إلى الله لأجهدت نفسى فيه ، فرأى قائلا يقول فى منامه : « إنك تريد مالا يكون إن الله يحب أن يعفو و يغفر » و إنما أحب أن يعفو ليكون العباد كلهم تحت عفوه ولا يدلى عليه أحد منهم بعمل .

وقد جاء فى حديث ابن عباس مرفوعاً إن الله ينظر ليلة القدر للمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيعفو عنهم و يرحمهم إلا أربعة، مدمن خمر، وعاقّ، ومشاحن وقاطع رحم ، لما عرف العارفون جلاله خضعوا ، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا ، ما ثم إلا عفو الله أو النار ، لولا طمع المذنبين بالعفو لاحترقت قلوبهم باليأس من الرحمة ، ولكن إذا ذكرت عفو الله استروحت إلى برد عفوه .

كان بعض المتقدمين يقول فى دعائه :

اللهم إن ذنوبى قد عظمت فجلت عن الصفة ، وإنها صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى .

وقال آخر: جرمى عظيم ، وعفوك كبير، فاجمع بين جرمى وعفوك يا كريم ، يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر، أكبر الأوزار فى جنب عفو الله تصغر ، وإنما أمر بسؤال العفو فى ليلة القدر بعد الاجتهاد فى الأعمال فيها وفى ليالى العشر لأن العارفين يجتهدون فى الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملا ولا حالا ولا مقالا فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر .

قال يحيى بن معاذ : ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو .

وكان مطرف يقول فى دعائه : اللهم ارض عنا فإن لم ترض عنا فاعف عنا .

يا رب عبدك قد أتاك   وقد أساء وقد هفا
يكفيك منه حياؤه   من شر ما قد أسلفا
حمل الذنوب على الذنو   ب الموبقات وأسرفا
وقد استجار بذيل عفوك   من عقابك ملحفا
يا رب فاعف وعافه   فلأنت أولى من عفا

واعلموا ـ رحكم الله ـ أن الموتى فى قبورهم يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بتسبيحة أو تحميدة أو ركعة ، ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك ، فلا يقدرون عليها قد حيل بينهم وبين العمل وغلقت منهم الرهون .

رُئِى بعضهم فى المنام فقال : ما عندنا أكثر من الندامة ، وما عندكم أكثر من الغفلة ، ورئى بعضهم فقال . قدمنا على أمر عظيم ، نعلم ولا نعمل ، وأنتم تعملون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان ، أو ركعة أو ركعتان ، فى صحيفة أحدنا خير من الدنيا وما فيها .

وفى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم: « ما من ميت يموت إلا ندم، إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازاداد ، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون استعتب » إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة ، فكيف يكون حال المسيء ؟ نسأل الله العافية .

إخوانى المعول على القبول ، لا على الاجتهاد ، والاعتبار بين القلوب ، لا بعمل الأبدان ، رب قائم حَظُّه من قيامه السهر ، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، كم نائم مرحوم ، وكم قائم محروم ، هذا نام وقلبه ذاكر ، وهذا قام وقلبه فاجر ، إن المقادير إذا ساعدت ، ألحقت النائم بالقائم ، لكن العبد مأمور بالسعى فى اكتساب الخيرات والسعى فى الأعمال الصالحات ، وكل ميسر لما خُلِقَ له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة ، فييسرون لعمل أهل الشقاوة، فالمبادرة المبادرة ، إلى اغتنام العمل فيما بقى من الشهر فعسى أن يستدرك ما فات من ضياع العمر ، فكل شهر فعسى أن يكون منه خلف ، وأما شهر رمضان فمن أين لكم منه خلف ؟! .

تنصف الشهر والهفاه وانهدما ... واختص بالفوز بالجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسراً ... مثلى فياويحه ما عُظْمَ ما حُرِماَ
من فاته الزرع فى وقت البذار فما ... تراه يحصد إلا الهم والندما
طوبى لمن كانت التقوى بضاعته ... فى شهره وبحبل الله معتصما

اللهم اجعل الإيمان هادماً للسيئات ، كما جعلت الكفر هادماً للحسنات ، اللهم ارحم عباداً غرهم طول إمهالك ، وأطمعهم دوام إفضالك ، ومدوا أيديهم إلى كرم نوالك ، وتيقنوا أن لا غناء لهم عن سؤالك ، اللهم ارحم غربتنا فى القبور ، وآمنا يوم البعث والنشور ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين . برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الفصل الخامس ﴾

فى فضل ليلة خمس وعشرين من رمضان

الحمد لله المعروف بدليله ، الهادى إلى سبيله ، الصادق فى قيله ، المشكور على كثير الإنعام وقليله ، رافع السماء و بانيها ، وساطح الأرض وداحيها ، ومثبتها بالأطواد فى نواحيها ، العالم بما يحدث فى أقاصيها ودانيها ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، نحمده على فضله الشامل ، ونشكره على إحسانه الكامل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ظهر نورها ولاح ، وغدا برهانها وراح ، وأشرق هداها فى المساء والصباح واكتسب قائلها شرفاً وتيها .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله والحق دائر ، فقمع الباطل بالحق الظاهر ، ونسخ ظلمات الجهالة بنور العلم الزاهر ، صلى الله عليه صلاة تمتد على ممر الزمان تواليها ، وعلى صاحبه فى الضيق ، أبى بكر الصديق ، وعلى الفاروق عمر بن الخطاب ، الموفق لإصابة الصواب ، وعلى عثمان شهيد الدار ، القائم فى الأسحار ، الصائم فى النهار ، المخلص فى الأذكار ، جامع سور القرآن وحاويها ، وعلى علىّ ذى العلم والزهادة ، جامع العلم والعمل والشهادة ، المطلع على دقائق العلم ومعانيها ، وعلى التابعين لهم بإخلاص الأعمال ، وصفاء القلوب ، ما ترددت الشمس بين الطلوع والغروب ، واستترت النجوم و بدا باديها ، وسلم تسليما كثيراً .

عباد الله اجتهدوا فى إخلاص الأعمال ، والابتهال إلى ذى العظمة والجلال ، فى بقية هذه الأيام والليال ، ولا تغتروا بهذه الأعمار القصيرة ، فإنها قريبة الزوال ، واعلموا أن هذه الليلة هى ليلة خمس وعشرين ، وقد قال طائفة من العلماء : إنها ليلة القدر .

وقد روى فى ذلك حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « التمسوها فى تاسعة تبقى ، فى خامسة تبقى » .

واعلموا ــ رحمكم الله ــ أن شهر رمضان شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .

والشهر كله شهر رحمة ومغفرة وعتق ، ولهذا ورد فى الحديث أنه « تفتح فيه أبواب الرحمة » .

وفى الترمذى : إن لله عتقاء من النار وذلك كل ليلة ، ولكن الأغلب على أوله الرحمة ، وهى للمحسنين المتقين قال تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، وقال تعالى : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون » ، فيفاض على المتقين فى أول الشهر خلع الرحمة والرضوان ، و يعامل أهل الإحسان ، بالفضل والامتنان ، وأما أوسط الشهر فالأغلب عليه المغفرة فيغفر فيه للصائمين ، و إن ارتكبوا بعض الذنوب الصغار ، فلا يمنعهم ذلك المغفرة ، كما قال:« و إن ربك لذوا مغفرة للناس على ظلمهم » .

وأما آخر الشهر فيعتق فيه من النار ، من أو بقته الذنوب والأوزار ، وفى حديث ابن عباس المرفوع « لله فى كل ليلة فى شهر رمضان عند الإفطار ، ألف ألف عتيق من النار ، فإذا كان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعتق الله فى كل ساعة ألف ألف عتيق من النار ، كلهم قد استوجبوا العذاب ، فإذا كان آخر ليلة من رمضان أعتق فى ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره» خرجه شبيب بن سلمة .

و إنما كان يوم الفطر من رمضان عيداً لجميع الأمة ، لأنه يعتق فيه أهل الكبائر من الصائمين من النار ، فيلتحق فيه المذنبون بالأبرار ، كما أن عيد النحر هو العيد الأكبر ، لأن قبله يوم عرفة ، وهو اليوم الذى لا يرى فيه يوم من الدنيا أكثر عتقاء من النار ، منه ، فمن أُعْتِقَ من النار فى اليومين ، فله يوم عيد ، ومن فاته العتق فى اليومين ، فليس له يوم عيد .

فبادروا ـ رحمكم الله ـ ما بقى من شهركم فإنه مغتنم ، واستدركوا ما فات منه بالحسرة والندم ، فمن أصلح ما بقى واستدرك ما مضى ، نال الفوز وأدرك الرضى ، ومن أفسد بالمعاصى أيام عشره ، ندم يوم الأخذ بالنواصى يوم حشره .

فيامصلحاً فى أيام شهره الماضية هذا العشر أحسنها ، ويامجتهداً فى الطاعة فيما خلا منه ، هذا العشر أزينها ، فبادر صحتك واغتنمها ، واحفظ مجاهدتك فى الطاعة والتزمها ، واعرف فضائل شهرك واعتلمها ، إنما هى أيام صادرة تغتنم ، وأوقات فضائل عشر تحترم ، والنفوس قد تغفل فتخترم ، كم فى المقابر مُتَمَنٍّ لقاء هذا الشهر فما لقيه ، صده عنه سهم الموت فما وقيه ، فتيقظ أيها الراقد من سنة نومك ، قبل أن تلحق بسالف قومك ، واجتهد فى صلاتك وتأدب فى صومك ، كم أنعم عليك مولاك نعماً بعد نعم ، وكم مَنَّ عليك بألطاف الرفق والكرم ، وكم مرضت فشفاك من ذلك الألم .

يروى عن ذى النون المصرى : أنه رأى فى منامه حورية تقول :

أتخطب مثلى وعنى تنام ونوم المحب عليه حرام
فَقُم فى دجا الليل وسط الظلا م بقلب حزين ودمع سجام
فمثلى يزف إلى عابد كثير الصيام طويل القيام

شعراً :

تيقظ بساعات من الليل يافتى لعلك تحظى فى الجنان بحورها
فتنعم فى دار يدوم نعيمها محمد فيها والخليل بدورها

قال كعب الأحبار : ما من عبد يقوم من الليل فيتوضأ ويصلى ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن من سمت فى الدنيا فى طلب الآخرة همته ، عَلَتْ فى

درجات الجنان منزلته ، فاجعلوا حراستكم فى هذه الأيام والليالى بالتقى ، يعظم ثوابكم فى دار الخلد والبقا ، فكأنى بك وقد قصم الموت عراك التى بها تمكنت ، وأخرجك من دارك التى جودت عمارتها وسكنت ، فتفكر فى قبر تخلو فيه بما أسأت وأحسنت إلى أن تقوم منه إلى الحساب على ماأسررت وأعلنت ، فتزين بالتقى فطوبى لك إن تزينت ، واعمل ما ينفعك غداً وإلا فمن أنت ؟ ستندم على تقصيرك إذا رأيت ملك الموت ، ونادى روحك أخرجي فأزعجها الصوت ، فلا أم لك تقيك ، مما يلاقيك ، ولا ولداً يقدر أن يفديك ، وودعك الأهل وداع من لايلتقى ، وتصعد الروح من أسفل الجسد وترتقى ، ولا تجـــد دافعاً عنك الأذى يقى ، فإن كنت طائعاً فزت ، وإلا فأنت الشقى .

وقال أحمد بن أبى الحوارى : دخلت على أبى سليمان الدارنى ، وهو يبكى فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : يا أحمد مالى لا أبكى وإذا جن الليل ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم ، وقطرت فى محاريبهم ، أشرف الجليل سبحانه عليهم .

فنادى جبريل : بعينى من تلذذ بكلامى ، فلم لاتنادى فيهم : ما هذا البكاء ؟ هل رأيتم حبيباً يعذب أحبابه ؟ أم كيف يجمل بى أن أعذب قوماً إذا جنهم الليل تملقوا لى ؟ فبى حلفت إذا وردوا علىّ يوم القيامة لأكشفنّ لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا لى وأنظر إليهم .

وقال ابن أبى الحوارى أيضا : سمعت أبا سليمان يقول : بينا أنا ساجدٌ ذهب بى النوم ، فإذا أنا بحوراء قد ركضتنى برجلها ، وقالت :

حبيبى أترقد والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟ بؤساً لعين آثرت لذة نومةٍ على مناجاة العزيز ، فقم فقد دنا الفراق ولقى المحبون بعضهم فما هذا الرقاد ؟ !

حبيبى وقرة عينى ، أترقد عيناك وأنا أربى لك فى الخدور ؟! قال :

فوثبت فزعاً وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياى ، وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وقلبى ، قام القوم على أقدام قدم الليل ، لولا قيام تلك الأقدام ، من كان يؤدى حق « هل من سائل » ؟

يا غافلين عما نالوا ملتم عن التقى وما مالوا ، ما أطيب ليلهم فى المناجاة ، ما أقربهم من طريق النجاة ، لو ذاق الغافل شراب أنسهم فى الظلام ، أو سمع الجاهل صوت حنينهم فى القيام ، وقد نصبوا له الأقدام ، وترنموا بأشرف الذكر وأحلى الكلام ، وزموا مطايا الشوق إلى دار السلام ، وسارت جنودهم والناس فى الغفلة نيام ، وشكوا فى الأسحار ما يلقون من وقع الغرام ، ووجدوا عن لذة الليل مالا يخطر على الأوهام ، فإذا أسفر النهار تلقوه بالصيام ، وتدرعوا دروع التقى خوفاً من الزلل والآثام ، فإذا نازلهم الموت طاب لهم كأس الحمام ، وإذا دفنوا فى الأرض نخرت بحفظها تلك العظام .

اللهم يا من فتح بابه للطالبين ، وأظهر غناه للراغبين ، إنظمنا فى سلك حزبك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين ، وآمنا من الفزع الأكبر يوم الدين ، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين . برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ فى فضل قيام الليل ﴾

الحمد لله المتفرد بالقدم والبقاء ، والعظمة والكبرياء ، والعز الذى لا يرام ، الواحد الأحد الفرد الصمد ، الملك الذى لا يحتاج إلى مدد ، الْعَلِيِّ عن مدانات

الأوهام ، الجليل العظيم الذى لا يمثله الذهن ، ولا يحده الفكر ولا تدركه الأفهام ، الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته ، فالعلوى والسفلى والإنسىُّ والجنىُّ والعرش والكرسىُّ مفتقر إليه على الدوام ، وفق من وفق فآمن بالله واستقام ، ووجده لذة مناجاة مولاه فهجر لذيذ المنام ، وصحب رفقة تتجافى جنوبهم عن المضاجع رغبة فى المقام ، فلو رأيتهم وقد سارت قوافلهم فى حندس الظلام ، فواحد يسأله العفو عن زلته ، وآخر يشكو إليه ما يجد من لوعته ، وآخر شغله ذكره عن مسألته ، فسبحان من أيقظهم والناس نيام ، وتبارك الذى غفر وعفا ، وستر وكفى ، وعلم ما ظهر وما خفى ، وأسبل على الكافة جميع الإنعام ، نحمده على جميع نعمه الجسام ، ونشكره ونسأله حفظ نعمة الإسلام .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عز من اعتز به فلا يضام ، وذل من تكبر عن أمره ولقى الآثام .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بَيَّنَ الحلال والحرام ، صلى الله عليه وعلى أبى بكر الصديق ، الذى هو فى الغار خير رفيق ، وعلى عمر بن الخطاب ، الذى أنزل على لسانه الكتاب ، وعلى عثمان مصابر البلا ، ومن نال الشهادة العظمى ، من أيدى العدى ، وعلى ابن عمه علىّ بن أبى طالب ، وعلى جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليما .

قال الله سبحانه وتعالى : « كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ — إلخ » .

وقال : « وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً » .

وقال تعالى : « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

وقال تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً » .

وفى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟» .

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان ثلث الليل الباقى يهبط الله إلى السماء الدنيا ، ثم تفتح أبواب السماء ، حتى يطلع الفجر » .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ، لو أردت سفراً لأعددت له عدة ، فكيف بسفر طريق القيامة ! يا أبا ذر ، ألا أنبئك بما ينفعك ذلك اليوم ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : صم يوماً شديداً حره ، ليوم النشور ، وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور » .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة : « يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيًّا وميتاً ، ومقبوراً ومبعوثاً ، فقم من الليل فصل وأنت تريد رضاء ربك .

يا أبا هريرة ، صل فى زوايا بيتك يكون نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الأرض » .

وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كثرت صلاته فى الليل حسن وجهه بالنهار » .

وقيل للحسن البصرى : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً ، فقال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره .

وقال كعب : إن الملائكة ينظرون من السماء الدنيا إلى الذين يصلون بالليل كما تنظرون أنتم إلى النجوم فى السماء .

وروى أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود :

يا داود ، كذب من ادَّعى محبتى ، وإذا جن الليل نام عنى ، أليس كل محب يحب الخلوة مع محبوبه ، فها أنا مطلع على أحبابى ، أرى تضرعهم وأسمع حنينهم ، وأنظر إليهم .

يا داود ، وعزتى وجلالى ، ما تقرب المتقربون إلىَّ – بعد الفرائض – بأحسن من صلاة الليل . .

يا داود ، صلاة الليل نور على وجه صاحبها يوم القيامة ، إن الليل لحاف الخائفين ، ولذة المتعبدين ، وأنس الطائعين .

ياداود وعزتى وجلالى ، مامن عبد هجر عرسه وفراشه ، وسارع إلى رضائى إلا عوَّضته فى الجنة ألذ من الدنيا سبعين ضعفاً .

بأبى معشر تجافوا عن الدنـــيا نخلوا حرامها والحـــلالا
يشهد الليل أنهم حين يغشى لم يقوموا إلى الصلاة كسالى
هــذه حال من يروم المعالى هكذا هكذا وإلا فلالا

روى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام : أنه شبع ليلة من خبز الشعير ، فنام عن ورده تلك الليلة ، فأوحى الله إليه :

يايحيى هل وجدت داراً خيراً من دارى ، أو جواراً خيراً من جوارى ؟

وعزتى وجلالى لو اطلعت على الفردوس اطِّلاعة ، لذاب جسمك ، ولزهقت نفسك ، ولو اطلعت على جهنم اطلاعة ، لبكيت الصديد ، بعد الدموع ، وللبست الحديد من المسوح .

أحب الله قوماً فاستقاموا على طرق الوداد فلم يناموا

سقاهم من محبتـــه شرابا　　فتاهوا فى محبتـــه وهاموا
فهم فى خمر عشقهم سكارى　　لهم فى حانة المولى مقـــامُ

روى أن سفيان الثورى شبع ذات ليلة فقام يصلى إلى الصباح ، وقال : الحمار إذا زيد فى عليقته ، زيد فى عمله .

وكان طاووس اليمانى يفرش فراشه ، فيتقلب عليه ، كما تقلب الحبة فى المقلاة ، ثم يقوم فيدرجه ، فيقوم يصلى إلى الصباح ، ويقول : ذكر جهنم طير نوم العابدين .

وكان عبد العزيز بن أبى رواد يأتى فراشه بالليل فيمديده عليه ويقول : والله إنك للين ، وإن فراش الجنة ألين منك ، فيدرج فراشه ويقوم يصلى إلى الصباح .

إذا ما الليـــل أظلم كابدوه　　فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقـــاموا　　وأهل الأمن فى الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود　　أنين منـــه تنفرج الضلوع

وكان الفضيل بن عياض يقول: إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل فاعلم أنك محروم ، وقد كثرت[١] خطيئتك .

وقال الحسن : إن الرجل ليحرم قيام الليل بالذنب يصيبه .

وروى أن الله سبحانه يقول لجبريل : أقم فلانا فإنى أحبـــه ، وأنم فلانا فإنى أبغضه.

وقال بعض السلف : بلغنى أنه إذا قام الرجل من الليل إلى الصلاة ضحك الله إليه وقال للملائكة :

ماحمل عبدى على أن قام يصلى من بين أهل وده ؟

فيقولون : يارب خوفته أمراً نخافه ، ورجيته أمراً فرجاه .

---

(١) لعله كبلتك .

فيقول الله سبحانه : أشهدكم أنى قد أعطيته ما يرجو ، وأمَّنته مما يخاف .

وعن مالك بن دينار قال : إن لى ورداً أقرؤه كل ليلة ، فغفلت ذات ليلة عنه قلم أقرأه ، فرأيت فى منامى ، جارية كأحسن مايكون ، فى يدها رقعة ، فقالت : أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم . فدفعتها إلىَّ ، فإذا فيها هذه الأبيات :

ألهتك اللذائذ والأمانى عن البيض الحسان والأنس فى الجنان

تعيش منعماً لاموت فيها وتلهو فى الجنان مع الحسان

تنبه من منامك ، إن خيراً من النوم التهجد فى القران

اللهم يامن خلق الإنسان ومناه ، واللسان وأجراه ، يامن لايخيب من دعاه ، هب لكل منا فى هذه الليلة مارجاه ، وبلغ كلا منا من خير الدنيا والآخرة مناه .

اللهم وإذا اطلعت فى هذه الليلة على خلقك ، فعد علينا بمنك وعتقك ، وقدر لنا من الحلال واسع رزقك ، واجعلنا ممن عرفك وقام بحقك .

اللهم ارحمنا من المخالفة والعصيان ، ووفقنا لطاعتك وعافنا من الخذلان ، وتولنا بحسن رعايتك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الفصل السابع ﴾

﴿ فى فضل ليلة سبع وعشرين من رمضان ﴾

الحمد لله عالم السر والجهر ، وقاصم الجبابرة بالعز والقهر ، محصى قطرات الماء وهو يجرى فى النهر ، موفر الثواب للأحباب ومكمل الأجر ، وباعث ظلام الليل ينسخه

نور الفجر ، يعلم خائنة الأعين وخافية الصدر ، الموالى رزقه فلم ينس النمل فى الرمل ، والفرخ فى الوكر ، جل أن تناله أيدى الحوادث على مرور الدهر ، أحصى عدد الرمل فى الفيافى والنمل فى القفر ، أغنى وأفقر ، فبإرادته وقوع الغنى والفقر ، وفضل بعض المخلوقات على بعض حتى أوقات الدهر ، ليلة القدر خير من ألف شهر .

أحمده حمداً لامنتهى لعدده .

وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص فى معتقده .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذى نبع الماء من بين أصابع يده ، صلى الله وسلم عايه وعلى صاحبه أبى بكر رفيقه فى شدائده ، وعلى عمر كهف الإسلام وعضده ، وعلى عثمان جامع القرآن بعذ تبدده ، وعلى علىٍّ كافى الحروب وشجعانها بمفرده ، وعلى سائر آله وأصحابه المحسن كل منهم فى مقصده ، وسلم تسليما .

عباد الله :

هذه الليلة ليلة سبع وعشرين ، وقد قال جمهور العلماء هى ليلة القدر ، لما روى الإمام أحمد عن ابن عباس : أن رجلا : قال يارسول الله ، إنى شيخ كبير يشق علىَّ القيام . فمرنى بليلة يوفقنى الله فيها لليلة القدر . فقال : « عليك بالسابعة والعشرين » .

وروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان مُتَحرِّيها فليتحرَّها ليلة سبع وعشرين » والأحاديث فى ذلك كثيرة ، وممن كان يقول ذلك أُبَىُّ بن كعب ، وكان يحلف عليه ولا يستثنى .

وكان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايَشُكُّون أنها ليلة سبع وعشرين ، وهو قول أحمد و إسحاق ، وقد تقدم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه » وفى رواية « وما تأخر »

فينبغى للعاقل أن يجتهد و يبادر عمره بالاجتهاد ، فبقدر عمله يزيد جزاؤه ، وعلى قدر تقصيره يقل عطاؤه ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، فلا يطمع البطال فى ثواب العمال ، ولا الجاهل فى ثواب العالم .

قال الله تعالى : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « مامن ميت يموت إلا ندم . إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد ، و إن كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب » .

إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة ، فكيف يكون حال المسىء ، فقد ورد أن الموتى يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بتسبيحة أو ركعة .

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الأعمال بالخواتيم ، فمن أصلح فيما بقى غفر له مامضى ، ومن أساء فيما بقى ، أُخِذَ بما بقى وما مضى .

وفى المسند عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن فى هذا الشهر لليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم .

عباد الله : المبادرة المبادرة إلى اغتنام العمل فى هذه الليلة الشريفة ، ومابقى من الشهر فى بقية العمر ، فإن ذلك غنيمة فعسى يستدرك به مافات من ضياع العمر :

تولى العمر فى سهو ، وفى لهو ، وفى خسر
فياضيعة ما أنفقت فى الأيام من عمرى
ومالى فى الذى ضيعت من عمرى من عذر
أما قد خصنا الله بشهر أيما شهر
بشهر أنزل الرحمن فيه أشرف الذكر
وهل يشبهه شهر وفيه ليلة القدر ؟
ففيها تنزل الأملاك والأنوار بالبر

وقد قال تعالى : « سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » ألا فادخروها فإنها من أنفس الذخر ، فكم من معتق فيها من النار وهو لايدرى ، أضاءت ليلة القدر بنور الإيمان ، فاستدلت أنوار الفضائل عن ديجور الظلام .

طوبى للعاملين فى هذا العشر ، التائبين فيه الجامعين بين صيام فرضه وقيام لياليه ، فلا يفوتن طالبكم سهر الارتقاب لليلة القدر .

إخوانى : ليلة القدر يفتح فيها الباب ، ويقرب فيها الأحباب ، ويسمع الخطاب ، ويرد الجواب ، ويرجى للعاملين عظيم الأجر .

سلام هى حتى مطلع الفجر .

ليلة تُتَلَقَّى فيها الوفود ، ويحصل لهم المقصود ، ليلة يربح فيها من فهم ودرى ، ويصل إلى مراده كل من جد وسرى ، ويفك فيها الجانى وتطلق الأسرى ، تقدم القوم وأنت راجع إلى ورا .

قال القرطبى فى التذكرة ، عن محمد بن ثابت أنه قال : كان أبى من القوامين لله فى سواد الليل قال :

رأيت ذات ليلة جوار[1] لاتشبه النساء ، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت : حوراء أمة الله .

فقلت لها : زوجينى من نفسك ، فقالت :

اخطبنى من ربى وأمهرنى .

فقلت : ما مهرك ؟

قالت : طول التهجد والصلاة .

وعن محمد بن ثابت البنانى ، قال ذهبت أُلَقِّنُ أبى ، وهو فى الموت فقلت : يا أبى قل لا إله إلا الله ، فقال : يا بنى خَلِّ عنى فإنى فى وردى السادس .

---

(١) لعله جارية

وكان يقرأ القرآن فى يوم وليلة ، ويصوم الدهر ، وبكى حتى كادت عيناه تذهب ، فَكُلِّم فى ذلك فقال : ما خيرهما إذا لم يبكيا ؟

اللهم اجعل فى قلوبنا نوراً نهتدى به إليك ، ووفقنا للأعمال الصالحة المقربة إليك ، واجعلنا يا مولانا ممن توكل فى جميع أموره عليك ، وعاملنا بفضلك وكرمك ، ولا تفضحنا يا سيدنا يوم العرض والوقوف بين يديك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

الفصل الثامن

فى فضل ليلة ثمان وعشرين من شهر رمضان

الحمد لله الذى أعان بفضله الأقدام السالكة ، وأنقذ برحمته النفوس الهالكة ذم الدنيا وأعلم أن سيوف غدرها باتكة ، وأعرض عن أهلها إلا العصبة الناسكة ، وسيقرع صاحبها سِنَّهُ ندماً إذا أصبحت سن الزاهد ضاحكة ، كم بينك و بينهم ، يا من نفسه عليها متهالكة ، سعد من رأى الدنيا فتبصر ، ورضى بوصف أشعث أغبر ، وأقبلت عليه بزخرفها فأدبر ، لايحزنهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة .

نحمده على اللذيذة والشائكة ، وَنُقِرُّ بوحدانيته إقرار عبد يعرف مالكه .

وأصلى وأسلم على نبينا محمد صلوات متداركة ، صلى الله عليه وعلى أبى بكر الذى تحرض عليه الفرقة الآفكة ، وعلى عمر الذى كانت نفسه لنفسه مالكة ، وعلى عثمان منفق الأموال المتداركة ، وعلى علىٍّ مجلى الحروب المظلمة الحالكة ، وعلى جميع الصحابة الذين أنار الله بهم منار التوحيد وأزال ظلم الشرك والأهوى المتراكمة ، وسلم تسليما .

عباد الله .

اعلموا أن هذا عشر مبارك الليالى والأيام ، وهو سبب لمحو الذنوب والآثام ، وفيه يتوفر جزيل الأجرِ والإنعام ، فاعتذروا فى هذِه الليلة إلى المولى الكريم ، وتعلقوا بذيل جوده فإنه رحيم ، وأقبلوا بالقلوب إليه ، وقفوا بالخضوع لديه ، وتعلقوا بجوده تعويلاً عليه ، وانكسروا بين يديه ، فإنه رحيم كريم ، ومدوا أنامل الرجا إلى بابه ، وأتبعوا البكا طريق أحبابه ، وتعرضوا الليلة لجزيل ثوابه ، واحذروا من سطوته وعقابه ، وأعلموا أن بين أيديكم يوماً لا كالأيام ، ينتبه فيه كل من غفل ونام ، وتزفر جهنم على أهل الآثام ، ويجثو فيه الخليل والكليم ، قوموا بنا إلى مطلوبنا ، قفوا بنا على باب محبوبنا ، هلموا الليلة نستغيث من ذنوبنا لعله يهب على قلوبنا من العفو نسيم .

فيا أيها الغافل تنبه لرحيلك ، ومسراك ، واحذر أن تستلب على موافقة هواك .

يا رجال الليل جدوا رب داع لا يُرَد
ما يقوم الليل إلا من له عزم وَجِدّ

واعلموا أن شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران ، فمن أسباب المغفرة فيه صيامه وقيامه ، وقيام ليلة القدر فيه ، ومن أسباب المغفرة تفطير الصوام ، ومنها الذكر لله ، وفى حديث مرفوع : « ذاكر الله فى رمضان مغفور له » ومنها الاستغفار وهوطلب المغفرة ، ودعاء الصائم يستجاب له فى صيامه وعند فطره ، وكان ابن عمر إذا أفطر يقول :

اللهم يا واسع المغفرة اغفر لى ، وفى حديث أبى هريرة المرفوع فى فضل رمضان ، ويغفر الله فيه إلا لمن أبى ، قيل : يا أبا هريرة ومن يأبى ؟ قال يأبى أن يستغفر الله ، ومنها استغفار الملائكه للصائمين حتى يفطروا ، فلما كثرت أسباب المغفرة فى رمضان ، كان الذى تفوته المغفرة فيه محروماً غاية الحرمان .

وفى صحيح ابن حبان عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال :

آمين ، آمين ، آمين .

فقيل : يارسول الله إنك صعدت المنبر فقلت : آمين ، آمين ، آمين .

فقال: إن جبريل أتانى فقال :

من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله . قل آمين ، فقلت آمين .

ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين ، فقلت آمين.

ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين ، فقلت آمين.

أوحى الله إلى داود عليه السلام :

يا داود : لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ، ورفقى بهم ، وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إلىّ ، وتقطعت أو صالهم من محبتى .

يا داود : هذه إرادتى فى المدبرين عنى ، فكيف إرادتى فى المقبلين علىّ .

وقال رجل لداود الطائى : أوصنى ، فدمعت عيناه وقال : يا أخى إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهى ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم زاداً بين يديك فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لنفسك واقض ما أنت قاض ، فكأنك بالأمر وقد بغتك ، إنى لأقول لك هذا وما أعلم أحداً أشد تقصيراً منى ، ثم قام وتركنى .

فيا أرباب الذنوب العظيمة ، الغنيمة ، الغنيمة ، فى هذه الأيام والليالى الكريمة ، فما منها عوض ولا لها قيمة ، فكم يعتق فيها من النار من ذى جريمة فمن أعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العميمة ، والمنحة الجسيمة ، إن كانت الرحمة للمحسنين ،

فالمسىء لا ييأس منها ، وإن كانت المغفرة للمتقين ، فالظالم لنفسه غير محجوب عنها . إن كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ ، فمن يجود على العاصين بالكرم ؟

قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً .

فيا أيها العاصى وكلنا كذلك ، لا تقنط من رحمة الله لسوء أعمالك ، فكم من معتق من النار فى هذه الأيام والليالى من أمثالك ، فأحسن الظن بمولاك وتب إليه إنه لا يهلك على الله إلا هالك .

إذا أوجعت فيك الذنوب فداوها ، برفع يد فى الليل والليل مظلم .

ولا تقنطن من رحمة الله ، إنما قنوطك منها من ذنوبك أعظم .

فرحمته للمحسنين كرامة ، ورحمته للمذنبين تكرم .

واعلموا رحمكم الله أن المعاصى سبب الطرد والهجر وأنها حجاب غليظ عن الله ، وتحول بين العبد و بين المغفرة ، فعلى وجه الطائع نور طاعته ، وعلى وجه العاصى ظلام مخالفته ، وعند الموت يؤتى هذا بالبشارة ، ويقع ذاك فى الخسارة ، وفى القبر هذا يفترش مهاد الفلاح ، و يلقى ذاك على حسك القباح ، وعند الحشر هذا يركب ، وذاك يسحب ، ثم يقال للعصاة ، هلا ادكرتم ، وللطائعين سلامٌ عليكم بما صبرتم ، اسلك طريق أهل السعادة ، وسل معيتهم توفق للشهادة .

كانوا يصومون وأنتم تفطرون .
و يقومون وأنتم نائمون .
و يبكون خوفاً وأنتم تضحكون .

لله در أقوام تركوا الدنيا فأصابوا ، وسمعوا منادى الله والله يدعو فأجابوا ، وحضروا مشاهد التقى فما غابوا ، واعتذروا مع التحقيق ثم تابوا ، وقصدوا باب مولاهم ، فما ردوا ولا خابوا .

روى عن منصور بن عمار قال: خرجت ليلة وظننت أنى أصبحت ، و إذا علىَّ ليل فقعدت عند باب صغير .

فإذا بصوت شاب يبكى ويقول :

وعزتك وجلالك ، ما أردت بمعصيتى مخالفتك ، وقد عصيتك حين عصيتك ، وما أنا بنكالك جاهلا ، ولا لعقوبتك متعرضاً ، ولا بنظرك مستخفاً .

ولكن سولت لى نفسى ، وغلبتنى شقوتى ، وغرنى سترك المرخى علىَّ ، فالآن من عذابك من يستنقذنى ، و بحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنى ؟ !

واسوءتاه من أيامى فى معصية ربى .

ياويلى كم أتوب وكم أعود ، قد حان لى أن أستحيي من ربى .

قال منصور : فلما سمعت كلامه قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : بسْم الله الرحمن الرحيم ، « يا أيُّها الذينَ آمنُوا قُوا أنفُسَكم وأهْلِيكُمْ ناراً وقُودُهَا الناسُ وَالْحِجَارَةُ » الآية، فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً ، ومضيت لحاحتى فلما أصبحنا رجعت و إذا أنا بجنازة على الباب ، وعجوز تذهب وتجىء فقلت لها :

من الميت؟ فقالت :

إليك عنى ، لا تجدد علىَّ أحزانى .

فقلت إنى رجل غريب .

فقالت هذا ولدى مرَّ بنا البارحة رجل لاجزاه الله خيراً فقرأ آية فيها ذكر النار فلم يزل ولدى يضطرب ويبكى حتى مات .

قال منصور: هكذا والله صفة الخائفين يا ابن عمار .

اللهم اعتقنا من النار وسلمنا من دار البوار . ووفقنا لسلوك سبيل عبادك الأخيار واغفرلنا جميع الذنوب والأوزار ، وعاملنا بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين ، وعمنا بعفوك ومغفرتك ووالدينا وجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ الفصل التاسع ﴾

فى الترغيب فى إتمام العمل و إكماله

الحمد لله الذى أسكر قلوب أوليائه بسلاف محبته فهاموا ، وقيد جوارحهم عن صيدالشهوات فاستقاموا. وكحل أعينهم بمرود إيراد الأوراد فما ناموا ، وقوّى قُوَى عَمَدِ طلبهم لمناجاته فداموا ، وأجرى عيون دموعهم فى نحيبهم عاموا ، وأنزلهم حمى الحماية بلطفه ففيه أقاموا ، منعهم بحلاوة ذوق المعالى لذة الطعام والشراب فصاموا ، وصبر أنفسهم وأجراهم على ملازمة الطاعات فداموا ، فسبحان من حجب بصر الغافلين عن مشاهدة أحوال الطائعين فهم بغفلتهم فى حال يقظتهم قد ناموا .

أحمده والإنس والجن ببعض محامده ما قاموا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تنقذ قائلها من خزنة الجحيم إذا هم لأخذه قد راموا .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى لم تأخذه فى الله لومة اللائمين حين لاموا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وتصدقوا وصلوا وصاموا ، لا سيما أبو بكر صاحبه ظاعناً ومقيما ، وعمر الذى قوّم السياسة بعدله تقويما ، وعلى عثمان الذى أمسى لبلاء الغرام غريما ، وعلى علىٍّ بحر العلوم وأكْرِمْ به حميا ، وسلم تسليما .

عباد الله إن شهر رمضان قد قرب رحيله ، وأزف تحويله ، فمن منكم أحسن فيه فعليه بالتمام ، ومن كان قد فرط فليختمه بالحسنى فالعمل بالختام ، فاستمعوا فيه بما بقى من الليالى اليسيرة والأيام ، وبادروا رحمكم الله بساعات شهركم الباقية فإنها تغتنم ، واستدركوا ما مضى منه بالحسرة والندم ، واختموه بتوبة من سالف الزلل ، وأوبة إلى صالح العمل ، كم ناس صلوا فى الشهر صلاة التراويح ، وأوقدوا

فى المساجد طلبا للأجر المصابيح ، وملأوا بالعبادة المكان الفسيح ، ونسخو بإحسانهم كل فعل قبيح ، فنصتهم ــ والله ــ فى آخرهم المصائد فصهروا ، وأسرتهم الحصائد فأسروا ، فلم ينفعهم المال ولا الآمال لما نقلوا ، رحلوا ــ والله ــ عنها قدماً قدما ، ونقض ما بنوه من الدنيا هدماً هدما ، أدارت عليهم المنون رحاها ، وأحلت وجوههم فى الثرى فمحاها ، أعدمتهم ــ والله ــ صوماً وفطرا ، وجعلت قبورهم لمهب الريح سطراً ، وزودتهم من الحنوط عطرا ، وهذا حالك عن قريب فتيقظ ، وهذا مالك عن قليل فاجتهد وتحفظ ، ذهب عنك شهر رمضان وأنت قاعد ، وسارت فيه قوافل الصالحين وأنت متباعد ، فينبغى لمن يرجو العتق من النار ، أن يأتى بأسباب توجب العتق من النار ، وهى متيسرة فى هذا الشهر .

كان أبو قلابة يعتق فى آخر الشهر جارية حسناء مزينة يرجو بعتقها العتق من النار.

وفى حديث سلمان المرفوع : من فطّر فيه صائماً كان عتقاً له من النار ، ومن خفف فيه عن مملوكه كان عتقاً له من النار .

وفى حديث سلمان: فاستكثروا فيه من خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما ،

فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار .

وأما التى لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ، فهذى الخصال الأربع المذكورة فى الحديث كل منها سبب للمغفرة والعتق من النار .

فأما كلمة التوحيد فإنها تهدم الذنوب وتمحوها محواً ولا تبقى ذنباً ، ولا يسبقها عمل ، وهى تعدل عتق الرقاب الذى يوجب العتق من النار ، ومن أتى بها حين يصبح و يمسى أعتقه الله من النار ، ومن قالها خالصاً من قلبه حرمه الله على النار .

وأما كلمة الاستغفار فمن أعظم أسباب المغفرة ، فإن الاستغفار دعاء بالمغفرة ، ودعاء الصائم مستجاب ، حال صيامه وعند فطره ، وقد سبق فيه حديث أبى هريرة

ويغفر الله فيه إلا لمن أبى. قالوا : يا أبا هريرة ومن يأبى ؟ قال : يأبى أن يستغفر الله .

قال الحسن أكثروا من الاستغفار ، فإنكم لا تدرون متى تنزل الرحمة .

وقال لقمان لابنه : يا بنى عَوِّدْ لسانك الاستغفار ، فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلا ، وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار ، فى قوله «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ » .

وفى بعض الآثار أن إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب ، وأهلكونى بالاستغفار ولا إله إلا الله . والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها ، فيختم به الصلاة والحج والقيام فى الليل ويختم به المجالس ، فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها ، وإن كانتْ لغواً كان كفارة لها ، فكذلك ينبغى أن يختم صيام رمضان بالاستغفار .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم أن يختموا صيام رمضان بالاستغفار والصدقة ، صدقة الفطر ، فإن صدقة الفطر طهرة للصائم ، من اللغو والرفث ، والاستغفار ترقع ما تخرق من الصيام ، باللغو والرفث .

ولهذا قال بعض العلماء : صدقة الفطر للصيام ، كسجدتَى السهو للصلاة .

وقال عمر بن عبد العزيز : قولوا كما قال أبوكم آدم « رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

وقولوا كما قال نوح : « وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» .

وقولوا كما قال إبراهيم :« وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينَ » .

وقولوا كما قال موسى : « رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِي » .

وقولوا كما قال ذوالنون : «لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ »

وروى عن أبى هريرة قال: الغيبة تخرق الصيام والاستغفار يرقعه فمن استطاع منكم أن يأتى بصوم مرقع فليفعل .

وعن محمد بن المنكدر: ومعنى ذلك الصيام جنة من النار مالم يخرقها والكلام السيء يخرق هذه الجنة والاستغفار يرقع ما تخرق منها .

فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع ، وعمل صالح له شافع ، كم تخرق صيامنا بسهام الـكلام ، ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع .

كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه ، إذا كان هذا حال المحسنين فى عباداتهم ، فـكيف حال المسيئين مثلنا فى عاداتهم ، ارحموا من حسناته سيئات وطاعاته غفلات ، أستغفر الله من صيامى طول زمانى ، ومن صلاتى التى كلها غفلاتى ، صيامنا كله خروق ، صلاتنا أيما صلاتى ، وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم عائشة فى ليلة القدر بسؤال العفو ، فإن العبد المؤمن يجتهد فى شهر رمضان فى صيامه وقيامه ، فإذا قرب فراغه وصادف ليلة القدر لم يسأل الله إلا العفو كحال المسىء المقصر .

كان صلة بن أشيم يحيي الليل ثم يقول فى دعائه بالسحر :

اللهم أجرنى من النار ، أومثلى يجترى أن يسألك الجنة ؟!

اللهم وفقنا لصالح الأعمال نجنا من جميع الأهوال ، و نجنا من الفزع الأكبر يوم الرجف والزلزال ، واغفر لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الرحمين .

﴿ الفصـل العاشر ﴾

فى وداع شهر رمضان

الحمد لله العالم بالسر وما يجن ، وما يعرض فى القلب وما يعن ، سامع صوت اللهيف يبكى ويحن ، قدر لـكل حىّ الأجل والسن ، وعظ فزجر فأزعج المطمئن وخوف الهجير من قد ألف الـكنِّ .

أحمده بمحامد إذا وُزِنَّ زِنَّ ، وأقر بتوحيده إقرار عبدٍ قِنّ .

وأصلى على رسوله المبعوث إلى الأنس والجن ، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر ثانى اثنين فى الحياة والممات والسن ، وعلى عمر الفاروق خضعت له رقاب الجبابرة ودِنْ ، وعلى عثمان المقتول ظلماً وما أحِنْ ، وعلى علىّ ولا أظهر من حبه عشر

ما أجن ، وعلى جميع آله وأصحابه الشاب منهم والكهل والمسن ، وسلم تسليما .

عباد الله: إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل ، ولم يبق منه إلا القليل فمن كان منكم أحسن فعليه بالتمام ، ومن كان قد فرط فيه فليختمه بالحسنى فالعمل بالختام ، فاستمتعوا فيه بما بقى من الليالى القصيرة والأيام ، و بادروا رحمكم الله ساعات شهركم الباقية فإنه مغتنم ، واستدركوا مامضى منه بالحسرة والندم ، واختموه بتوبة من سالف الزلل ، وأوبة إلى صالح العمل .

كم أناس صلوا فى هذا الشهر صلاة التراويح ، وأوقدوا فى المساجد طلباً للأجر المصابيح ، وملأوا بالعبادة المكان الفسيح ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح ، فنصتهم والله فى آخره المصائد فقهروا ، وأسرتهم الحصائد فأسروا ، فلم ينفعهم المال والآمال لما نقلوا ، رحلوا والله عنها قدماً قدما ، ونقض مابنوه من الدنيا هدما هدماً ، أدارت عليهم المنون رحاها ، وأحلت وجوههم فى الثرى فمحاها أعدمتهم والله صوماً وفطراً وجعلت قلوبهم لمهب الرياح سطراً ، وزودتهم من الحنوط عطراً ، وهذا حالك عن قريب : فتيقظ ، وهذا مالك عن قليل : فاجتهد وتحفظ .

يا قليل الاعتبار . وقد سمع ورأى . يا طويل الأمل قد نأى . يا مشغولاً باللهو مفتوناً بالمنى. يامتعلقاً بما يوقن أن عقباه الفنا:أما تعِدُ بتوبتك ، فقل متى؟ أما الشيب رسولا من المنون قدأتى ؟ أما أكثر عمل التسويف قد مضى ؟ أما أنت غرض لسهم القدر والقضا ؟ يا من راح فى المعاصى وغدا ، و يقول أتوب اليوم أو غداً .

يا قليل الزاد وحادى رحيله قد حدى ، تأهب للتلف وتهيأ للردى ، ذهب عنك شهر الصيام وودعك ، وسارت فيه قوافل الصالحين وجهلك منعك ، والتوبيخ متوفر فما أزعجك ولا أوجعك ، وأنت تؤمل منازل العاملين ، بأفعال الغافلين ، فما أطمعك !

يا من أصبح ساعياً إلى ما يضره متقدما ، وأضحى بناء أمله بكف أجله متهدما ، ستعلم من يأتى غداً حزينا متقدما و يبكى بعد الدموع من الحسرات الدما ، أأعددت عدة حازم لقبرك ، أحصلت عملا ينجيك فى حشرك ، أحفظت حدود صومك

فى شهرك ؟ أما هتك حرمة الحمى ؟ متى حضر قلبك فى صلاتك ، متى خرجت عن العادة فى عباداتك ، لقد تسلط الشيطان عليك بغفلاتك ، ولو تيقظت لما ، كم صوم فسد فلم يسقط به الفرض ، وكم من صائم يفضحه الحساب والعرض ، وكم من عاص فى هذا الشهر تستغيث منه الأرض ، وتشكو من أعماله السماء فياليت شعرى من المقبول ومن المردود ومن الشقى ومن المسعود ، لقد عاد الأمر مُبْهَماً ، لقد سعد فى هذا الشهر بحراسة أيامه من كف جوارحه عن كسب آثامه ، ولقد خاب فيه من كان حظه من صيامه الجوع والظما ، لله در أقوام حرسوا بالتقى أيام شهرهم ، وتدرعوا دروع المراقبة فى صبرهم : وجمعوا . بين الصدق والإخلاص فى ذكرهم ، فظهرت آثار الفوز منهما ، صبروا باليقين على ظمأ الهواجر ، و بسطوا أقدامهم على بساط الدياجر ، وعملوا ليوم فيه القلوب لدى الحناجر ، اعتقدوا أوقات النصب مغنما ، قصدوا مولاهم ووقفوا بين يديه ورفعوا حوائجهم فى دياجي الليل إليه ، و بسطوا ألسن الرجا فتمنوا عليه فأعطاهم مولاهم كلما ، لقد أصابوا الطريق وما أصبت ، ولقد أجابوا داعيهم وما أجبت .

واعجبا أيخرج رمضان وما أنبت ، هذا والله هو العمى ، فاجتهد فى لحاق القوم ، فقد جدوا ولا ترضى لنفسك دون ماأعدوا وأنصت لحادى الرحيل فيما هو يحدو ، فإن اجتهدت أدركتهم و إن لم فما ، وتيقظ لملك الموت فكأن قد هجم ، وودع شهر رمضان فقد ذهب وانصرم ، وتحقق أن يشهد يوم الحسرة والندم ، لك وعليك ، أيها الغافل . شعرا فى وداع رمضان :

دع البكاء على الأطـــلال والدار	واذكر لمن بان من خل ومن جار
واذر الدموع نحيباً وابك من أسف	على فراق ليـــــال ذات أنوار
على ليـال شهر الصوم ماجعلت	إلا لتمحيص آثام وأوزار
يالائمى فى البـكا زدنى به كلفاً	واسمع غريب أحاديثى وأخبارى
ما كان أحسننا والشمل مجتمع	منا المصـــلى ومنا القانت القارى

وفى التراويح للراحات جامعة   فيها المصابيح تزهو مثل أزهار
فى ليله ليلة القدر التى شرفت   حقاً على كل شهر ذات أسرار
تنزل الروح والأملاك قاطبة   بإذن رب غفور خالق بارى
شهر به يعتق الله العصاة وقد   أشفوا على جرف من خطة النار
نرجو الإله محب العفو يعتقنا   ويحفظ الكل من شر وأكدار
ويشمل العفو والرضوان أجمعنا   بفضلك الجم لاتهتك الأستار
فابكوا على مامضى فى الشهرواغتنموا   ماقد بقى فهو حق عنكم جارى

ياشهر الصيام ترفق ، دموع المحبين تدفق ، قلوبهم من ألم الفراق تشقق ، عسى وقفة الوداع تطفى من نار الشوق ما أحرق ، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق ، عسى من استوجب النار يعتق .

عسى وعسى من قبل وقت التفرُّق   إلى كل ما نرجو من الخير نلتقى
فيقبل مردود ويُقبل تائب   ويجبر مكسور ويسعد من شقى

فاستيقظ من غفلتك ورقدتك ، وخذ لك زاداً لنقلتك ، وشيع بقية شهرك ، بالتوبة والإنابة ، لعلك أن تحصل لك الإجابة ، وتنالك الرأفة والرحمة ، وتلحق بأهل المعرفة ، وودع شهر رمضان بإرسال العبرات ، لعلك تقال العثرات ، فكم من صائم لا يصوم غيره أبداً ، وكم من قائم لا يقوم بعده أبداً ، العامل يعطى أجره عند فراغه من العمل ، وقد فرغنا من العمل ، فيا ليت شعرى من المقبول منا فنهنيه ، ومن المطرود فنعزيه (شعرا) :

سلامٌ من الرحمن كلَّ أوان   على خير شهر قد مضى وزمان
سلامٌ على شهر الصيام فإنه   أمانٌ من الرَّحْمن أىُّ أمان
لئن فنيت أيامك الغرُّ بغتة   فما الحزن من قلبى عليك بفان

السلام عليك يا شهر الصيام . السلام عليك يا شهر القيام . السلام عليك يا شهر الإيمان . السلام عليك يا شهر الدرجات . السلام عليك يا شهر النجاة من الدركات .

السلام عليك يا شهر الأنوار . السلام عليك يا شهر العفو والغفران . السلام عليك يا شهر التائبين القانتين . السلام عليك يا شهر العارفين العابدين . السلام عليك يا شهر المتهجدين . السلام عليك يا شهر الأمان .

السلام عليك يا شهر التراويح والمصابيح ، والعيون الساهرة والعيون الهاطلة ، والمحاريب المتعطرة ، والعبرات المنسكبة ، والقلوب المنفطرة ، والأنفاس الصاعدة من القلوب المحترقة ، كنت للعاصين حبسا وللمتقين أنسا .

اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامه مع صلاته ، و بدلت سيئاته بحسناته ، وأدخلته برحمتك جناتك ورفعت درجاته .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، واختم شهرنا بغفرانك ، وجد علينا بألطاف إحسانك ، وتغمدنا برحمتك ورضوانك ، واجعل مآلنا إلى جنانك .

اللهم اجعل شهرنا هذا شاهداً لنا بأداء فرضك ، ولا تخزنا بقبائح أعمالنا يوم عرضك ، ولا تجعلنا ممن تعب واجتهد ولم يرضك .

اللهم ألهمنا الشكر على صيام الأيام الماضية ، وأعد علينا شهر رمضان أعواماً متوالية ، وارزقنا الزهادة فى الدنيا الفانية ، وارفع منازلنا فى جنة عالية ، قطوفها دانية ، واجعلنا ممن ينادى غداً فى الدار الباقية ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الْخَالِيةِ .

وآتنا فى الدنيا حسنة .

وفى الآخرة حسنة .

وقنا عذاب النار .

برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم حصل الفراغ منها فى ١٤ رمضان سنة ١٣٣٨ غفر الله لكاتبها وقارئها ولمن دعا لهما بالمغفرة . آمين .

دعاء ختم رمضان

للعلامة الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان ، المتوفى فى ليلة ٢٨ من رمضان سنة ١٣٤٩
رحمه الله وغفر له وأسكنه أعلى فراديس الجنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نصب على وحدانيته من صنعته دليلا ، وجعل لخاصته إلى طريق خدمته بعنايته سبيلا ، ووعد عباده على يسير عبادته برا جميلا ، وكان لخلقه على ماضمن من رزقه وكيلا ، أودع كتابه من أسرار دينه أمرا ونهيا وتحريما ، وامتن على رسوله بإنزاله حيث قال : « إنَّا نحنُ نزَّلنا عليكَ القرآن تنزيلا » من عدل عن خدمته أصبح بصارم عقوبته قتيلا ، ومن اعتدل بصدق طاعته نال عند رجعته ظلا ظليلا ، ومن استروح اليوم بمعصيته حمل يوم محاسبته حملا ثقيلا ، ومن أعرض عن سلامته حظى بندامته يوم تكون الجبال كثيبا مهيلا «أصحابُ الجنةِ يومئذٍ خيرٌ مستقراً وأحسنُ مقيلا».
أحمده أن بلغنا ختم كتابه حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه بكرة وأصيلا . وأشهد أن لا إلا الله وحده لاشريك له ، الصادق فى قيله ، ومن أصدق من الله قيلا . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الذى بلغ ما أنزل إليه من ربه وتبتل إليه تبتيلا .

اللهم صلى وسلم على هذا النبي الكريم ، والرسول الذى قلت « فيه و إنك لعلى خلق عظيم » أفضل ماصليت وسلمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صدق الله ومن أصدق من الله قيلا ، وصدقت رسله الذين هدى بهم سبيلا ، وحسبنا الله وكفى بالله وكيلا .

الحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده ويدافع عنا نقمه .

ياربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ومجدك ، سبحانك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على

محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم فكما بلغتنا خاتمة القرآن العظيم ، وأعنتنا على تلاوة الذكر الحكيم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فاجعلنا بتلاوته منتفعين ، وإلى لذيذ خطابه مستمعين ، وبما فيه معتبرين ، ولأحكامه جامعين ، ولأوامره ونواهيه خاضعين ، وعن ختمه من الفائزين ، ولثوابه حائزين ، ولك فى جميع شهورنا ذاكرين ، وإليك فى جمبع أمورنا راجعين ، واغفر لنا فى ليلتنا هذه أجمعين ، برحمتك ياأرحم الراحمين .

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، وشفاء صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا ، وسائقنا وقائدنا ودليلنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم .

اللهمَّ اجعل القرآن لقلوبنا ضياء ، ولأبصارنا جلاء ولأسقامنا دواء ، ولذنوبنا ممحصاً ، ومن النار مخلصاً .

اللهم نجنا به من تورد الهلكات ، وسلمنا به من اقتحام الشبهات ، وعمنا به بسحائب البركات ، ولا تخلنا به من لطفك فى جميع الأوقات .

اللهم صل على نبينا محمد الذى فضلته فى الدنيا بأشرف الرسالات ، وفى الأخرى بأرفع الدرجات ، فله فيها المقام المحمود ، والحوض المورود ، واللواء المعقود ، والفخر المشهود ، وله الزلفى والفضيلة والقربى والوسيلة .

اللهم نور بكتابك قلوبنا ، واغفر به ذنوبنا ، واستر به عيوبنا ، واشرح به صدورنا ، ويسر به أمورنا .

اللهم انفعنا بما صرفت به من الآيات ، وكفر عنا بتلاوته السيئات ، وهون به علينا السكرات عند الممات .

اللهم أخلص به ضمائرنا ، وأصلح به سرائرنا ، واشف به مرضانا ، وارحم به موتانا ، واغسل به دنس خطايانا .

اللهم إنك سميته مباركا فارزقنا به من كل بركة ، وجعلته نجاة فنجنا به

كل من هلكة ، وجعلته عصمة فاعصمنا به من كل شبهة و بدعة ، واجعلنا به فى حرزك وأمانك وجوارك ، فى غرفات جناتك ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك .

اللهم إنا قد دعوناك طالبين ، ورجوناك راغبين ، واستقلناك غير مستنكفين ، إقراراً لك بالعبودية ، وإذعاناً بالربوبية ، فأنت الله الذى لا إله إلا أنت ، لك ما سكن فى الليل والنهار ، وأنت السميع العليم .

اللهم فجد علينا بجزيل النعماء ، وأسعفنا بتتابع الآلاء ، وعافنا من نوازل البلاء ، وقنا شماتة الأعداء ، وأعذنا من درك الشقاء ، وحُطنا برعايتك الجميلة فى الصباح والمساء .

إلٰهنا وسيدنا ومولانا عليك نتوكل فى حاجاتنا ، وإليك نتوسل فى مهماتنا ، لا نعرف غيرك فندعوه ، ولا نؤمل سواك فنرجوه . أنت إله الأولين والآخرين ، وجامع الخلق لميقات يوم الدين ، توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين .

اللهم وصل وسلم على محمد عبدك الحبيب ، ورسولك القريب ، وعلى آله وأهل بيته وأصحابه حملة شريعته .

اللهم إنا ندعوك دعاء من يرجوك ويخشاك ، ونبتهل إليك ابتهال من لم يخطر بباله عند مسألتك أحدٌ سواك ، ورحمتك تسع من أطاعك منا ومن عصاك ، فأما محسن فقبلته ، وأما مسىء فرحمته ، يا من أدنى المنقطعين إليه ، وأغنى المتوكلين عليه .

اللهم أنت أنيسنا فى الخلوة ، إذا أوحشنا المكان ، ولفظتنا الأوطان ، وفارقنا الأهل والجيران ، وانفردنا فى محل ضنك ، قصير السمك ، على غير مهاد ولا وساد ، ولا تقدمة زاد ، ولا اعتداد .

اللهم فتداركنا هنالك برحمتك الواسعة ، وأذهب ظلمته بالأنوار الساطعة .

اللهم ارحم منا من اكتنفته سيئاته ، وأحاطت به خطيئاته ، ارحم من ليس له من عمله شافع ، ولا يمنعه من عذابك مانع ، ارحم الغافل عما أظله ، والذاهل عن الأمر الذى خلق له .

يامن آنس العارفين بطيب مناجاته ، وألبس الخائفين ثوب موالاته ، متى فرح

من قصدت سواك همته ، ومتى استراح من أرادت غيرك عزيمته ، ومن الذى قصدك بصدق الإرادة فلم تشفعه فى مراده ، أم من اعتمد عليك فلم تجد بإسعاده ، أم من الذى استرشدك فلم تمنن بإرشاده . هانحن عبيدك المقصرون الخاطئون المذنبون المستغفرون ، جئناك من ثقل الأوزار هاربين ، ولمعروفك طالبين ، وعلى ما اجترحنا من الخطايا نادمين .

نسألك بأسمائك الحسنى ، ونصلى ونسلم على نبيك أنجح الشفعاء ، أن تجعلنا فى هذه الليلة من المرحومين ، وأن لا تردنا بالخيبة محرومين ، وافعل ذلك بنا و بسائر المسلمين ، واخصص بذلك من لنـا من الأمهات والآباء ، والبنات والأبناء ، والإخوان والأخوات ، وجميع قرابات الحاضرين .

اللهم كن لهم بعد الأحباب حبيبا ، ولدعاء من دعى لهم من خلقك مجيبا ، واجعل لهم فى موارد رحمتك ومواهبك حظا ونصيبا ، يا من لم يزل سميعا قريبا .

اللهم اجمع كلمة أهل دينك على القول العادل ، وادفع عنهم عزة التشاحن ، وذلة التخاذل ، واغمد فيما بينهم سيف سفك دمائهم بالباطل ، وخِرْ لنا ولسائر المسلمين فى العاجل والآجل . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، وألف بين قلوبهم ، وأصلح ذات بينهم ، وانصرهم على عدوك وعدوهم .

اللهم صلى وسلم على محمد عبدك ورسولك النبى الأمى ، وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيتـه ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على محمـد عبدك ورسولك النبى الأمى ، وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته وأهل بيتـه ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد ، وكما يليق بعظيم شرفه ، وكماله ، ورضاك عنه ، وكما تحب وترضى له دائما أبدا عدد معلوماتك ، ومداد كلماتك ، ورضاء نفسك ، وزنة عرشك ، أفضل صلاة وأكملها وأتمها كلما ذكرك وذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون وسلم تسليما .

نسخ هذا الدعاء المبارك من خط مؤلفه يوم الأحد ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٨٠
بقلم الفقير إلى عفو الله ورحمته محمد بن سليمان الجراح

فهرست

حادى الأنام إلى دار السلام

صحيفة

فهرست

وظائف العشر الأخير من شهر رمضان

صحيفة

تصويبات

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	١٠	جنّاتُ	جناتِ
٦	٩	خوافتي	خوافق
٦	١٠	طلع	اطلّع
٦	١٩	جنتة	جنته
٧	١٠	وإن لم يكن غير	وإن يكن غير ذلك تر
٧		ذلك ترى ما أصنع	(أى ما أصنع)
٧	١١	كثيره	كثيرة
٧	١٤	وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة	سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض
٧	٢٠	الدانية	الدنية
٧	٢١	إذ رأيت	إذا رأيت
٧	٢٢	وهب	وهيب
١٢	٢٠	يبلغنها	يبلغها
١٣	١٧	ذكر الله	ذكراً لله
١٣	١٩	لأخية	لأخيه
١٣	٢٣	ويعطى	ويعط
١٥	٢	لتسبيحة وتكبيرة وتهليلة	لتسبيحه وتكبيره وتهليله
١٦	١٠	يموت أندم	يموت إلا ندم
١٦	١٧	وتسبيحتان	أو تسبيحتان
١٩	١٠	امرأة	المرأة

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	١٥	والدى	والذى
٢٢	١٩	لما هبط آدم	لمـا أهبط آدم
٢٤	١٥	نحت برحمته	تمت برحمته
٢٥	٣	السبيل	السُّبُل
٢٥	٦	وحصاباؤها	وحصباؤها
٤١	١٢	أرآنى	أرانى
٤٣	١٤	من الخمام	من الحمام
٥٩	٢١	الصديق الصدوقا	الصديق الصديقا
٦٠	٧	يركبهون	يركبون
٦١	١٢	يُدْعَوْنَ	يَدْعُونَ
٦٢	١٢	تحريان	تجريان
٦٢	١٧	كَأَساً	كَأْساً
٦٣	٤	أشرف طعام أهل الجنة	أشرف طعام شراب أهل الجنة
٦٣	٦	بها	بها
٦٥	١	حماع	جماع
٦٧	٥	ببيع	ببيع
٦٧	٧	صفقه	صفقة
٦٧	٨	الظَّلُمَاتُ	الظُّلُمَاتُ
٨٠	٢٠	إذا تقف	إذ تقف
٨٤	١٣	أو لم يقذف	ولم يقذف
٨٥	٢	فيزوجه مهور، الحور	فيزوجه ؟ مهور الحور
٨٩	٢٠	لعمرو إلهك	لعمر إلهك
٩١	١٤	فى شغْلٍ	فى شُغُلٍ
٩٢	١٨	باللحم العريض	باللحم الغريض

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٣	٦	فمن النعماء	فمن النعمى
١٠٧	٢٢	بهر	نهر
١٠٨	١٠	حلَّتْ له	حَلَتْ له
١١٦	٧	برحمك	برحمتك
١٢١	١٥	المرإ	المرء
١٢٦	٢٢	وهذا	هذا
١٢٧	٢١	سوق فى الجنة	فى سوق الجنة
١٣٢	٢٠	التأييد	التأبيد
١٣٤	٣	مردوية	مردويه
١٣٧	٦	يبدو وضئيلا	يبدو ضئيلا
١٣٨	٩	عند سفره	فى سفره
١٣٩	٢	ممن هو أقدر	ممن هو عليه أقدر
١٤٤	١٥	أُوَتُو	أُوْتُوا
١٤٤	٢٢	ويضاعف لأولئك	ويضاعف لهم كما يضاعف لأولئك
١٤٦	٢١	عن ابن جريح	عن ابن جريج
١٥٠	٥	البخوم	النجوم
١٦٤	٤	مجاهدتك	مجاهدتك
١٦٦	١٩	استحباب الاجتهاء	استحباب الاجتهاد
١٧٢	٥	تصغير	تصغر
١٧٤	٢٠	قد وقال	وقد قال
١٧٩	٣	ووجدة	ووجد
١٨٩	٨	فأبعد الله	فأبعده الله
١٩٠	١١	وأبها	وأنها
١٩٠	١٤	القير	القبر